سورة سبأ

مكِّيَّةٌ في قولِ الجميع، إلَّا آيةً واحدةً اختُلف فيها، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ الآية [٦]، فقالت فرقةٌ: هي مكيَّةٌ، والمرادُ المؤمنون أصحابُ النبيِّ ﷺ؛ قاله ابن عباس. وقالت فرقة: هي مدنية، والمرادُ بالمؤمنين مَن أَسْلَمَ بالمدينة [من أهل الكتاب] كعبد الله بن سلَام وغيره[1]؛ قاله مقاتل. وقال قتادة: هم أمةُ محمدٍ ﷺ المؤمنون به؛ كائناً مَن كان[2]. وهي أربعٌ وخمسون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ «الذي» في موضعِ خَفْضٍ على النعتِ أو البدل. ويجوزُ أن يكونَ في موضعِ رفعٍ على إضمارِ مبتدأ، وأن يكون في موضع نصبٍ بمعنى: أعني. وحكى سيبويه: «الحمد للهِ أهل الحمد» بالرفع والنصب والخفض[3]. والحمدُ الكاملُ والثناءُ الشَّامِلُ كلُّه لِله؛ إذ النِّعَمُ كلُّها منه. وقد مضى الكلامُ فيه في أوّلِ «الفاتحة»[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٤ دون قوله: قاله ابن عباس، وما سلف بين حاصرتين منه. وقول ابن عباس إن سورة سبأ مكية أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٩٤ .

(٢) كذا نقل المصنف عن ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٦ . وهو في تفسير الطبري ١٩/ ٢١٤ ، والنكت والعيون ٤/ ٤٣٣ ، والوسيط ٣/ ٤٨٧ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٤٩ بلفظ: هم أصحاب محمد ﷺ، وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٢٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وسيذكره المصنف عند تفسير الآية عن ابن عباس.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣١ . وقول سيبويه في الكتاب ٢/ ٦٢ - ٦٣ .

(٤) ١/ ٢٠٢ .

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ قيل: هو قولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقيل: هو قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، فهو المحمودُ في الآخرةِ كما أنه المحمودُ في الدنيا، وهو المالكُ للآخرة كما أنَّه المالكُ للأُولى[١]. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأَمْرِ خَلْقِه.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما يدخل فيها من قَطْرٍ وغيره، كما قال: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]، ومن الكنوزِ والدَّفائنِ والأمواتِ وما هي له كِفاتٌ[٢]. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نباتٍ وغيرِه ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطار والثلوج والبَرَد والصواعق، والأرزاقِ والمقادير والبركات. وقرأ عليّ بن أبي طالب: «وما نُنزِّلُ» بالنون والتشديد[٣]. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمالِ العباد؛ قاله الحسن وغيره[٤]. ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ قيل: المرادُ أهلُ مكة؛ قال مقاتل: قال أبو سفيان لكفار مكة: واللَّاتِ والعزَّى لا تأتينا الساعة أبداً ولا نُبعث. فقال الله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾. وروى هارونُ عن طَلْقٍ المعلِّم

---

(١) في (ظ): للدنيا.

(٢) مصدر كفت، ومعنى كَفَتَ الشيءَ، أي: ضمَّه إليه وقبضه. القاموس (كفت).

(٣) القراءات الشاذة ص ١٢١، والكشاف ٣/ ٢٧٩.

(٤) ذكره البغوي ٣/ ٥٤٨، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٧٩ دون نسبة.

قال: سمعتُ أشياخَنا يقرؤون: «قل بلى ورَبِّي لَيَأْتِيَنَّكُمْ» بياءٍ[١]، حَمَلوه على المعنى، كأنه قال: لَيأتينَّكُم البعثُ، أو أَمْرُه، كما قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣].

فهؤلاء الكفارُ مُقِرُّونَ بالابتداء مُنْكِرون الإعادَةَ، وهو نقضٌ لِمَا اعترفوا به من القدرة[٢] على البعث، وقالوا: وإنْ قَدَرَ لا يفعل. فهذا تحكُّمٌ بعد أن أَخبر على ألسنةِ الرسل أنه يبعث الخلق، وإذا ورد الخبر بشيءٍ هو[٣] ممكنٌ في الفعل مقدورٌ، فتكذيبُ مَن وَجَبَ صِدْقُه مُحال.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ بالرفع قراءةُ نافع وابن عامر[٤] على الابتداء، وخبرُه: «لا يَعْزُبُ عنه». وقرأ عاصم وأبو عمرو: ﴿عَٰلِمِ﴾ بالخفض[٥]، أي: الحمدُ لِله عالِمِ، فعلى هذه القراءة لا يَحْسُنُ الوَقْفُ على قوله: «لَتَأْتِيَنَّكم». وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: «علَّامِ الغيب» على المبالغة والنعت[٦].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ أي: لا يغيبُ عنه، «ويَعْزِب» أيضاً. قال الفرَّاء[٧]: والكسرُ أحبُّ إليَّ. النحاس: وهي قراءةُ يحيى بن وثَّاب، وهي لغةٌ معروفة. يقال: عَزَبَ يَعْزُبُ ويَعْزِبُ. إذا بَعُد وغاب[٨].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٢١، والمحتسب ٢/ ١٨٦، والبحر ٧/ ٢٥٧، ووقع في المحتسب: طليق، بدل: طلق.

(٢) في النسخ عدا (ظ): وهو نقض لما اعترفوا بالقدرة، والمثبت من (ظ).

(٣) في (د) و(م): وهو.

(٤) في النسخ: ابن كثير، وهو خطأ.

(٥) وهي قراءة ابن كثير أيضاً.

(٦) السبعة ص ٥٢٦، والتسير ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٧) في معاني القرآن ٢/ ٣٥١.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٩٣، وقرأ: «يَعزِبُ» بكسر الزاي الكسائي، والباقون بضمها. السبعة ص٥٢٦، والتيسير ص ١٢٢.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: قَدْرُ نَملةٍ صغيرة. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ وفي قراءة الأعمش: «ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ» بالفتح فيهما[1] عطفاً على «ذَرَّةٍ». وقراءةُ العامَّةِ بالرفع عطفاً على «مِثْقَالُ».

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ فهو العالمُ بما خَلَقَ، ولا يَخْفَى عليه شيء. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ منصوبٌ بلامِ كي، والتقدير: لَتأتينَّكُم لِيجزيَ[2] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالثواب، والكافرين بالعقاب. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني المؤمنين ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: في إبطالِ أَدِلَّتِنَا والتكذيبِ بآياتنا. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مُسابِقين يحسبون أنهم يَفُوتوننا، وأنَّ الله لا يقدرُ على بعثهم في الآخرة، وظنُّوا أنَّا نُهْملُهم، فهؤلاء ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ يقال: عاجَزَه وأَعْجَزه: إذا غالبَه وسَبَقَه.

و«أَلِيم» قراءةُ نافعٍ بالكسر[3] نعتاً للرِّجْز؛ فإنَّ الرِّجْز هو العذاب، قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٥٩]. وقرأ ابن كَثِيرٍ وحفصٌ عن عاصم: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ برفع «الميم» هنا وفي «الجاثية»[4] نعتاً للعذاب. وقرأ ابن كثير وابن مُحيصِنٍ وحُميد بن قيس ومجاهد وأبو عمرو: «مُعَجِّزِينَ»[5] أي: مثبِّطين، أي: ثبَّطوا الناسَ عن الإيمان بالمعجزات وآياتِ القرآن.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٢١ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٢ .

(٣) وقرأ بها أيضاً من السبعة أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم. السبعة ص٥٢٦ ، والتيسير ص ١٨٠ .

(٤) في الآية (١١) منها . السبعة ص ٥٢٦ ، والتيسير ص ١٨٠ .

(٥) السبعة ص ٤٣٩ ، والتيسير ص ١٥٨ عن ابن كثير وأبي عمرو .

قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾

لمَّا ذكر الذين سَعَوْا في إبطال النبوَّة؛ بيَّنَ أنَّ الذين أوتوا العلم يَرَوْنَ أنَّ القرآن حقٌّ. قال مقاتل: «الذين أُوتوا العلمَ» هم مؤمنو أهلِ الكتاب. وقال ابن عباس: هم أصحابُ محمدٍ ﷺ[1]. وقيل: جميع المسلمين، وهو أصحُّ لعمومه.

والرؤيةُ بمعنى العلم، وهي في موضعِ نصبٍ عطفاً على «لَيَجْزِيَ»، أي: ليجزي وليرى؛ قاله الزجَّاج والفرَّاء[2]. وفيه نظر، لأنَّ قوله: «لِيجزيَ» متعلِّقٌ بقوله: «لَتأْتينَّكم الساعةُ»، ولا يقال: لتأتينَّكم الساعةُ ليَرى الذين أوتوا العلم أنَّ القرآن حقٌّ، فإنَّهم يَرَوْن القرآنَ حقًّا وإن لم تأتِهم الساعةُ. والصحيحُ أنه رفعٌ على الاستئناف؛ ذكره القشيريُّ.

قلت: وإذا كان «لَيَجْزِيَ» متعلِّقاً بمعنى: أثبت ذلك في كتابٍ مبين، فيحسُنُ عطفُ «ويَرَى» أي: وأثبت أيضاً ليرى[3] الذين أوتوا العلمَ أنَّ القرآن حقٌّ. ويجوز أن يكون مُسْتأنَفاً.

﴿ٱلَّذِى﴾ في موضعِ نصبٍ على أنه مفعولٌ أول لـ «يَرى»، و﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ مفعولٌ ثانٍ. و«هو» فاصلةٌ، والكوفيون يقولون: عماد، ويجوز الرفعُ على أنه مبتدأ، و«الْحَقُّ» خبرُه، والجملةُ في موضع نصبٍ على المفعول الثاني. والنصبُ أكثرُ فيما كانت فيه الألفُ واللَّام عند جميع النحويين، وكذا ما كان نكرةً لا يَدْخلُه الألفُ واللام، فيشبِهُ المعرفة. فإن كان الخبر اسماً معروفاً نحو قولك: كان أخوك هو زيدٌ، فزعم الفراء أنَّ الاختيار فيه الرفعُ، وكذا: كان [أبو] محمد هو عمرو. وعلَّتُه في اختياره الرفعَ: أنه

---

(١) لم نقف عليه عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ١٩/ ٢١٤ عن قتادة، وينظر ما سلف ص ٢٥٨ من هذا الجزء.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤١ .

(٣) في النسخ الخطية: رؤية ، والمثبت من (م).

لمَّا لم تكن فيه الألفُ واللَّامُ أَشْبَهَ النكرةَ في قولك: كان زيد هو جالسٌ؛ لأنَّ هذا لا يجوز فيه إلَّا الرفعُ[١].

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: يهدي القرآنُ إلى طريق الإسلام الذي هو دينُ الله. ودلَّ بقوله: «العزيز» على أنه لا يُغَالَبُ. وبقوله: «الحميد» على أنه لا يَلِيقُ به صفةُ العجز.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ وإن شئتَ أَدْغمتَ اللامَ في النون لقُرْبِها منها[٢]. ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ هذا إخبارٌ عمَّن قال: «لا تأتينا الساعةُ» أي: هل نُرشدُكم إلى رجلٍ ينبئكم، أي: يقول لكم: إنكم تُبعَثون بعد البِلَى في القبور. وهذا صادرٌ عن فَرْطِ إنكارهم.

الزَّمخشَريُّ[٣]: فإن قلت: كان رسولُ الله ﷺ مشهوراً عَلَماً في قريش، وكان إنباؤُه بالبعث شائعاً عندهم، فما معنى قولهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ فنكَّروه لهم، وعَرَضوا عليهم الدلالةَ عليه كما يُدَلُّ على مجهولٍ في أمرٍ مجهول.

قلت: كانوا يقصدون بذلك الطَّنْزَ[٤] والهُزْءَ والسُّخريةَ، فَأَخْرَجوه مخرجَ التَّحكِّي[٥] ببعض الأَحَاجيّ التي يُتَحاجَى بها للضَّحك والتَّلهِّي، مُتَجاهِلينَ به وبأمره.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٢ - ٣٣٣ ، وقول الفرَّاء في معاني القرآن له ٢/ ٣٥٢ . وما سلف بين حاصرتين منهما .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٣ ، وأدغمها الكسائي .

(٣) في الكشاف ٣/ ٢٨١ .

(٤) أي : السخرية. القاموس (طنز).

(٥) في (ظ): التحاكي، وفي الكشاف: التحلي.

و«إذا» في موضع نصبٍ، والعاملُ فيها: «مُزِّقْتُم»؛ قاله النحاس[١]، ولا يجوز أن يكون العاملُ فيها «يُنَبِّئُكُم»؛ لأنه ليس يُخْبِرُهم ذلك الوقتَ. ولا يجوز أن يكون العاملُ فيها ما بعدَ «إنَّ»، لأنه لا يعملُ فيما قَبْلَه، و«إنَّ» لا يتقدَّم عليها ما بعدَها ولا معمولُها. وأجاز الزجَّاج[٢] أن يكون العاملُ فيها محذوفاً، التقدير: إذا مزِّقتُم كلَّ ممزَّقٍ بُعثتم، أو ينبئكم بأنكم تُبعَثون إذا مُزِّقتم.

المهدويُّ: ولا يعملُ فيه «مُزِّقتم»؛ لأنه مُضافٌ إليه، والمضافُ إليه لا يعملُ في المضاف. وأجازه بعضُهم على أن تُجعل «إذَا» للمجازاة، فيعملُ فيها حينئذٍ ما بعدَها لأنَّها غيرُ مُضافةٍ إليه. وأكثرُ ما تقع «إذا» للمجازاة في الشعر. ومعنى ﴿مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فُرِّقتم كلَّ تَفْريقٍ. والمَزْقُ: خرقُ الأشياء؛ يقال: ثوبٌ مَزِيقٌ وممزوقٌ ومتمزِّق وممزَّق.

قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لمَّا دخلت ألفُ الاستفهام استغنيتَ عن ألفِ الوصل فحذَفْتَها، وكان فتحُ ألفِ الاستفهام فرقاً بينها وبين ألفِ الوصل[٣]. وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية: ٧٨] مستوفًى.

﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ هذا مردودٌ على ما تقدَّم من قول المشركين، والمعنى: قال

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٣ ، وقاله أيضاً الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٤١ . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٦ : وهو خطأ وإفساد للمعنى. وتعقبه أبو حيان في البحر ٧/ ٢٥٩ بأنه ليس بخطأ ولا إفساد للمعنى، وأن الصحيح أن إذا الشرطية يعمل فيها فعل الشرط كسائر أدوات الشرط. قال السمين في الدر المصون ٩/ ١٥٤ : لكن الجمهور على خلافه.

(٢) في معاني القرآن له ٤/ ٢٤٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٣ ، وما قبله منه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٣ .

المشركون: أَفْتَرَى على الله كذباً ـ والافتراءُ: الاخْتِلاقُ ـ أَمْ به جِنَّةٌ، أي: جنونٌ، فهو يتكلَّم بما لا يدري. ثم رَدَّ عليهم فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ أي: ليس الأمرُ كما قالوا، بل هو أصدقُ الصادقين، ومَن يُنْكِر البعثَ فهو غداً في العذاب، واليومَ في الضَّلال عن الصواب؛ إذ صاروا إلى تعجيز الإله، ونسبةِ الافتراءِ إلى مَن أيَّده بالمعجزات.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

أَعْلَمَ الله تعالى أنَّ الذي قَدَرَ على خَلْقِ السماواتِ والأرضِ وما فيهنَّ قادرٌ على البعث، وعلى تعجيلِ العقوبةِ لهم، فاستَدَلَّ بقدرته عليهم، وأنَّ السماواتِ والأرضَ مِلْكه، وأنَّهما محيطتان بهم من كلِّ جانب، فكيف يَأْمَنون الخَسْفَ والكَسْفَ كما فُعِلَ بقارونَ وأصحابِ الأيكة؟!.

وقرأ حمزة والكسائيُّ: ﴿إِنْ يَشَأْ يَخْسِفْ بهمُ الأرضَ أو يُسْقِطْ﴾ بالياء في الثلاث، أي: إنْ يشأ اللهُ أَمَرَ الأرضَ فتنخسف بهم، أو السماءَ فتُسقط عليهم كِسَفاً. الباقون بالنون على التعظيم[1].

وقرأ السُّلَميُّ وحفصٌ: ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين. الباقون بالإسكان. وقد تقدَّم بيانُه في «سبحان» وغيرها[2].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: في هذا الذي ذَكَرْناه من قدرتنا «لآيةً» أي: دلالةً ظاهِرةً ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: تائبٍ رجَّاعٍ إلى الله بقلبه. وخصَّ المنيب بالذِّكر؛ لأنه المنتفِعُ بالفكرة في حُجج الله وآياته.

---

(١) السبعة ص ٥٢٧ ، والتيسير ص ١٨٠ .

(٢) ١٣/ ١٧٥ وعند تفسير الآية (١٨٧) من سورة النمل. وينظر السبعة ص٣٨٥ والتيسير ص١٦٦ .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ بيَّن لمنكري نبوَّةِ محمدٍ ﷺ أنَّ إرسال الرسل ليس أمرًا بِدْعًا، بل أَرْسَلْنا الرسلَ وأيَّدناهم بالمعجزات، وأَحْلَلْنا بِمَن خالَفَهم العقاب. «آتَيْنَا»: أعطينا. ﴿فَضْلًا﴾ أي: أمراً فضَّلْناه به على غيره.

واختُلف في هذا الفضل على تسعة أقوال:

الأوّل: النبوَّة.

الثاني: الزَّبور.

الثالث: العلم؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥].

الرابع: القوّة؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧].

الخامس: تسخير الجبال والناس؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾.

السادس: التوبة؛ قال الله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥].

السابع: الحكم بالعدل؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [ص: ٢٦].

الثامن: إِلَانَةُ الحديد؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

التاسع: حُسن الصوت، وكان داودُ عليه السلام ذا صوتٍ حسن ووجهٍ حسن. وحُسْنُ الصوت هبةٌ من الله تعالى وتفضُّلٌ منه، وهو المرادُ بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١] على ما يأتي إن شاء الله تعالى. وقال ﷺ لأبي موسى: «لقد أُوتيتَ مِزْماراً من مزامير آلِ داود»[١]. قال العلماء: المِزْمارُ والمَزْمُور: الصوتُ الحسن، وبه سمِّيت آلةُ الزَّمْرِ مِزْماراً[٢]. وقد استَحْسَنَ كثيرٌ من فقهاء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣): (٢٣٦) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. وأخرجه أحمد (٢٢٩٦٩)، ومسلم (٧٩٣): (٢٣٥) من حديث بريدة الأسلمي ﷺ.

(٢) المفهم ٢/ ٤٢٣.

الأمصار القراءةَ بالتزيين والترجيع[١]، وقد مضى هذا في مقدِّمة الكتاب[٢]، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أي: وقلنا: يا جبالُ أوِّبي معه، أي: سبِّحي معه؛ لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]. قال أبو ميسرة: هو التسبيحُ بلسان الحبشة[٣]، ومعنى تسبيح الجبال: هو أنَّ الله تعالى خَلَقَ فيها تسبيحاً كما خلق الكلامَ في الشجرة، فَيُسمَعُ منها ما يُسمَعُ من المسبِّح، معجزةً لداودَ عليه الصلاة والسلام[٤].

وقيل: المعنى: سِيري معه حيثُ شاء، من التأويب الذي هو سيرُ النهارِ أَجْمعَ وينزلُ الليلَ. قال ابن مُقْبِل:

لَحِقْنا بحيٍّ أَوَّبوا السَّيرَ بعد ما دَفَعْنا شُعاعَ الشَّمسِ والطَّرْفُ مُجنَحُ[٥]

وقرأ الحسن وقتادة وغيرهما: «أُوْبي مَعَهُ» أي: ارجعي معه[٦]، من آبَ يَؤُوبُ: إذا رجع، أَوْبًا وأوْبة وإيَاباً.

وقيل: المعنى: تصرَّفي معه على ما يَتَصرَّفُ عليه داودُ بالنهار، فكان إذا قرأ الزبورَ صَوَّتت الجبالُ معه، وأَصْغَتْ إليه الطيرُ، فكأنَّها فَعَلَتْ ما فَعَل.

وقال وهب بن منبِّه: المعنى: نُوحي معه، والطيرُ تساعده[٧] على ذلك، فكان إذا

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٥٨٤ ، وفيه: بالألحان والترجيع.

(٢) ١/ ٢١ .

(٣) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٢٠ ، وأبو ميسرة هو عمرو بن شُرَحبيل الهَمْداني.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٨١ .

(٥) تفسير غريب القرآن ص ٣٥٣ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧ ، والبيت في ذيل ديوان تميم بن مقبل رقم (١٤). وذكره صاحب منتهى الطلب من أشعار العرب ٦/ ٤٦ عن الراعي النميري، وهو في ديوانه ص٣٩ . ووقع في (م): يجنح، وهو موافق لما في تفسير الغريب.

(٦) القراءات الشاذة ص١٢١ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧ ، قال ابن عطية: أي: في السير، أو في التسبيح.

(٧) في النسخ الخطية: تسعده، والمثبت من (م).

نادى بالنياحة أجابته الجبال بصَدَاها، وعكفت الطيرُ عليه مِن فوقه. فصَدَى الجبالِ الذي يسمعه الناس إنَّما كان من ذلك اليوم إلى هذه الساعة[١]، فأُيِّد بمساعدة الجبال والطير لئلَّا يجد فَتْرةً، فإذا دخلت الفترةُ اهتاج، أي: ثار وتحرَّك، وقَوِيَ بمساعدةِ الجبالِ والطير. وكان قد أُعطيَ من الصوت ما تتزاحمُ الوحوشُ من الجبال على حُسْنِ صوته، وكان الماءُ الجاري يَنْقَطعُ عن الجَرْي وقوفاً لصوته.

«وَالطَّيْرُ» بالرفع قراءةُ ابنِ أبي إسحاق، ونصرٍ عن عاصم، وابنِ هُرْمُز، ومَسْلمةَ ابنِ عبد الملك[٢]، عطفاً على لفظ الجبال، أو على المضمَر في «أَوِّبي»، وحسَّنه الفصلُ بمع. الباقون بالنصب عطفاً على موضع «يا جبالُ» أي: نادينا الجبالَ والطير؛ قاله سيبويه. وعند أبي عمرو بن العلاء بإضمارِ فعلٍ، على معنى: وسخَّرنا له الطير. وقال الكسائيُّ: هو معطوفٌ، أي: وآتيناه الطيرَ، حملاً على ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾. النحاس[٣]: ويجوز أن يكون مفعولاً معه، كما تقول: استوى الماء والخشبةَ. وسمعتُ الزجَّاج يُجيز: قمتُ وزيداً، فالمعنى: أوِّبي معه ومع الطير[٤].

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال ابن عباس: صار عنده كالشمع[٥]. وقال الحسن: كالعجين[٦]، فكان يعمله من غير نار. وقال السُّدي: كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجينِ والشمع، يُصَرِّفه كيف شاء، من غير إدخالِ نارٍ ولا ضربٍ بِمطْرَقةٍ[٧]. وقاله مقاتل. وكان يَفْرَغُ من الدِّرع في بعضِ اليومِ أو بعضِ الليل،

---

(١) هذا كلام يناقض سنة الله في كونه، والخبرُ من الإسرائيليات.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٢٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٣ - ٣٣٤ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠٧ وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجماعة.

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٤ ، وما قبله منه.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٤٣ .

(٥) الوسيط ٣/ ٤٨٨ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٢٢٧ .

(٧) في (ظ): مطرقة.

ثمنُها ألفُ درهم.

وقيل: أُعطيَ قوةً يَثْني بها الحديد، وسَبَبُ ذلك: أنَّ داود عليه السلام لمَّا مَلَكَ بني إسرائيلَ؛ لَقِيَ مَلَكاً وداودُ يَظُنُّه إنساناً، وداودُ مُتنكِّرٌ؛ خرج يسأل عن نفسه وسيرتِه في بني إسرائيلَ في خَفَاءٍ، فقال داودُ لذلك الشخصِ الذي تَمثَّلَ له: ما قولُك في هذا المِلك داودَ؟ فقال له المَلَكُ: نِعْمَ العبدُ لولا خَلَّةٌ فيه. قال داودُ: وما هي؟ قال: يَرتَزِقُ من بيت المال، ولو أَكَلَ مِن عَمَلِ يده لَتَمَّتْ فضائلُه. فرجع، فدعا الله في أنْ يعلِّمه صنعةً ويسهِّلَها عليه، فعلَّمه صنعةَ لَبوسٍ كما قال جلَّ وعزَّ في سورة الأنبياء، فأَلانَ له الحديدَ، فصنع الدُّروعَ، فكان يصنع الدِّرعَ فيما بين يومِه وليلتِه يساوي ألفَ درهمٍ، حتى ادَّخر منها كثيراً، وتوسَّعتْ معيشةُ منزله، وتَصَدَّق على الفقراء والمساكين، وكان يُنفقُ ثلثَ المالِ في مَصَالحِ المسلمين[١]. وهو أوّلُ مَن اتَّخذ الدروعَ وصَنَعها وكانت قبل ذلك صفائحَ. ويقال: إنه كان يبيع كلَّ درعٍ منها بأربعة آلاف[٢]. والدِّرعُ مؤنثةٌ إذا كانت للحرب، ودرعُ المرأةِ مُذَكَّر[٣].

مسألة: في هذه الآية دليلٌ على تعلُّم أهلِ الفضلِ الصَّنائعَ، وأنَّ التحرُّفَ بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادةٌ في فضلهم وفضائلهم؛ إذ يحصلُ لهم التواضعُ في أنفسهم والاستغناءُ عن غيرهم، وكَسْبُ الحلالِ الخليِّ عن الامتنان. وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ خيرَ ما أَكَلَ المرءُ مِن عَمَلِ يَدِه، وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ كان يأكلُ مِن عَمَلِ يَدِه»[٤]. وقد مضى هذا في «الأنبياء»[٥] مُجَوَّداً، والحمد لله.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٠٧ - ٤٠٨ ، وبنحوه في عرائس المجالس ص ٢٨١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٥٠ .

(٢) عرائس المجالس ص ٢٨١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٥٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٤ .

(٤) صحيح البخاري (٢٠٧٢) من حديث المقدام ﷺ، و(٢٠٧٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسلف ١٠/ ١٦١ .

(٥) ١٤/ ٢٥٤ .

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: دروعاً سابغاتٍ، أي: كَوَامِلَ تامَّاتٍ واسعات؛ يقال: سَبَغ الدِّرْعُ والثوبُ وغيرُهما: إذا غطَّى كلَّ ما هو عليه وفَضَلَ منه. ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قال قتادة: كانت الدُّروعُ قبلَه صَفائح، فكانت ثِقَالاً؛ فلذلك أُمِرَ هو بالتقدير فيما يجمع بين[1] الخِفَّةِ والحَصَانة. أي: قَدِّرْ ما تأخذُ من هذين المَعْنيَين بقِسْطِه، أي: لا تَقْصدِ الحصانةَ فتثقُلَ، ولا الخفةَ فتُزيلَ المَنَعةَ.

وقال ابن زيد: التقديرُ الذي أُمر به هو في قَدْرِ الحَلْقة، أي: لا تَعْمَلْها صغيرةً فتَضْعُفَ، فلا تَقْوى الدروعُ على الدفاع، ولا تَعْمَلْها كبيرةً فيُنالَ لابِسُها [من خلالها][2].

وقال ابن عباس: التقديرُ الذي أُمر به هو في المسمار، أي: لا تجعل مسمارَ الدرع رقيقاً فيَقْلَقَ، ولا غليظاً فَيَفْصِمَ الحَلَق[3]. روي «يَقْصِمُ» بالقاف، والفاءُ أيضاً رواية[4].

﴿فِى ٱلسَّرْدِ﴾ السَّرْدُ: نسجُ حَلَق الدروع، ومنه قيل لصانع الدروع: السَّرَّاد والزرَّاد، تُبدَلُ من السين الزايُ، كما قيل: سِرَاط وزِرَاط. والسَّرد: الخَرْز، يقال: سَرَدَ يَسْرُدُ: إذا خَرَز. والمِسْرَد: الإشْفَى[5]، ويقال: سِرَاد. قال الشَّمَّاخ:

---

(١) في النسخ عدا (ظ): من، والمثبت من (ظ) والمحرر الوجيز ٤/٤٠٨ ، والكلام منه.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٤٠٨ ، وما بين حاصرتين منه، وأخرج قول ابن زيد وقول قتادة الطبري ١٩/٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/١٢٧ . وقوله: فيقلق، أي: لا يستقر ولا يثبت. اللسان (قلق). وعلقه البخاري كما في الفتح ٦/٤٥٣ عن مجاهد قال: لا ترقَّ المسامير فيسلس، ولا تعظم فينفصم. قال الحافظ: معناه: فيخرج من الثقب برفق، أو يصير متحركاً فيلين عند الخروج.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٠٨ .

(٥) وهو مِثْقَب الإسكاف، جمعها: الأشافي. معجم متن اللغة (أشف).

فظلَّتْ تِبَاعاً خيلُنا في بيوتكم كما تابعتْ سَرْدَ العِنانِ الخوارِزُ[١]

والسِّرَاد: السَّيرُ الذي يُخْرَزُ به؛ قال لَبِيد:

يَشُكُّ صِفَاحَها بالرَّوْقِ شَزْرًا كما خرج السِّرَادُ من النِّقَال[٢]

ويقال: قد سَرَدَ الحديثَ والصومَ، فالسَّرْدُ فيهما: أنْ يَجيءَ به وِلاءً في نسقٍ واحد، ومنه سرد الكلام. وفي[٣] حديث عائشة: لم يكن النبيُّ ﷺ يَسْرُدُ الحديثَ كَسَرْدِكُم، وكان يحدِّث الحديثَ لو أراد العادُّ أن يَعُدَّه لأَحْصَاه[٤]. قال سيبويه[٥]: ومنه: رجلٌ سَرَنْدَى، أي: جريء، قال: لأنه يمضي قُدُماً. وأصلُ ذلك في سَرْدِ الدِّرْع، وهو أن يُحْكِمَها ويجعل نظامَ حَلقَها وِلاءً غيرَ مختلفٍ. قال لبيد:

صَنَعَ الحديدَ مُضَاعفاً أسرادُه لينال طولَ العيش غيرَ مَرُومِ[٦]

وقال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرُودَتانِ قضاهما داودُ أو صَنَعُ السَّوَابِغ تُبَّعُ[٧]

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ أي: عملاً صالحاً. وهذا خطابٌ لداودَ وأَهْلِه. كما قال: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]. ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

---

(١) ديوان الشماخ ص١٩٤ برواية: شَكَكْنَ بأحساءِ الذِّنابَ على هُدًى ـ كما تابعت . . . يصف أُتُناً وَرَدْنَ وحَسَسْنَ بالصائد فنَفَرْنَ على تتابُعٍ واستقامة. اللسان (عرق). وذكر ابن قتيبة عجزه في غريب القرآن ص٣٥٤ ، والكلام فيه بنحوه.

(٢) في النسخ الخطية: النعال، والمثبت من (م) وشرح ديوان لبيد ص ٧٩ . وقال الشارح: يشك: يطعن (وهو الثور) صفاحها: جُنوبها. والرَّوق: القَرْن. شَزْراً: جانباً. والنقال واحدها نَقْل: وهو النعل الخَلَق تُرقع فتُخْرز.

(٣) في (ظ): ومنه.

(٤) أخرج أوله أحمد (٢٤٨٦٥)، ومسلم (٢٤٩٣)، وعلقه البخاري (٣٥٦٨). وأخرجه من قوله: وكان يحدث الحديث...، البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد (٢٤٩٣): (٧١).

(٥) في الكتاب ٤/ ٣٢٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٥/ ٣٩٧ .

(٦) ديوان لبيد ص ١٠٩ برواية: صنع الحديد لحفظه أسرادَه...، قوله: غير مروم، قال شارح الديوان: أي: لينال طول العيش وهو لا يُرام.

(٧) سلف ٢/ ٣٣٦ .

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ قال الزجَّاج[١]: التقدير: وسخَّرنا لسليمانَ الريح. وقرأ عاصم في روايةِ أبي بكر عنه: «الرِّيحُ» بالرفع[٢] على الابتداء، والمعنى: له تسخيرُ الريح، أو بالاستقرار، أي: ولسليمان الريحُ ثابتةٌ، وفيه ذلك المعنى الأولُ. فإن قال قائل: إذا قلت: أعطيتُ زيداً درهماً ولعمرو ديناراً، فرفعتَه لم يكن فيه معنى الأولِ، وجاز أن يكون لم تُعْطِه الدينارَ. قيل: الأمرُ كذا؛ ولكن الآية على خلافِ هذا من جهة المعنى؛ لأنَّه قد عُلم أنه لم يسخِّرها أحدٌ إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ[٣].

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي: مسيرةُ شهر. قال الحسن: كان يغدو من دمشقَ فيَقِيلُ بإصْطَخْرَ، وبينهما مسيرةُ شهرٍ للمُسْرِع، ثم يروح من إصْطَخْر ويَبيتُ بكابُل، وبينهما شهرٌ للمُسْرِع[٤]. قال السُّدِّيُّ: كانت تسير به في اليوم مسيرةَ شهرين[٥].

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: كان سليمان إذا جلس نُصبت حَوَالَيْه أربعُ مئةِ ألفِ كرسيٍّ، ثم جلس رؤساءُ الإنس ممَّا يليه، وجلس سِفْلةُ الإنس مما يليهم، وجلس رؤساءُ الجنِّ مما يلي سِفْلةَ الإنس، وجلس سفلةُ الجنِّ ممَّا يَليهم، ومُوكَّلٌ بكلِّ كرسيٍّ طائرٌ لعملٍ قد عَرَفَه، ثم تُقِلُّهم الريحُ، والطيرُ تُظِلُّهُم من الشمس، فيغدو من بيت المقدس إلى إصطخر [فيَقيلُ بها، ثم يَروحُ من إصطخر] فيبيت ببيت المقدس، ثم قرأ ابن عباس: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[٦].

---

(١) في معاني القرآن ٤/ ٢٤٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٥ .

(٢) السبعة ص ٥٢٧ ، والتيسير ص ١٨٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٥ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٢٧ ، والطبري ١٩/ ٢٢٨ . وإصْطَخْر: مدينة بفارس. معجم البلدان ١/ ٢١١ .

(٥) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٢٧ عن قتادة، وأخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٥/ ٢٢٧ عن مجاهد.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٥ ، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ١١/ ٥٣٦ ، والطبري ١٨/ ٣٠ .

وقال وهب بن منبِّهٍ: ذُكر لي أنَّ منزلاً بناحيةِ دِجْلةَ مكتوباً فيه ـ كَتبه بعضُ صَحابةِ سليمانَ؛ إمَّا من الجنِّ وإما من الإنس ـ : نحن نَزَلناهُ[١] وما بنيناه، ومَبْنيًّا وجدناه، غَدَوْنا من إصْطَخْرَ فَقِلْناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله تعالى فباتّون في الشام[٢].

وقال الحسن: شَغَلتْ سليمانَ الخيلُ حتى فاتته صلاةُ العصر، فعقر الخيلَ فأَبْدَلَه الله خيراً منها وأَسْرَعَ، أَبْدَلَه الريحَ تجري بأمره حيث شاء، غدوُّها شهرٌ ورَوَاحُها شهر[٣].

وقال ابن زيد: كان مستقرُّ سليمانَ بمدينةِ تَدْمُرَ، وكان أَمَر الشياطينَ قبل شُخوصِه من الشام إلى العراق، فبَنَوْها له بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ والرُّخامِ الأبيضِ والأصفر[٤]، وفيه يقول النابغة:

إلَّا سليمانَ إذ قال الإله[٥] له ... قُمْ في البريَّة فاحْدُدْها عن الفَنَدِ

وخَيِّسِ الجنَّ إنِّي قد أَذِنْتُ لهم ... يَبْنُونَ تَدْمرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

فَمَن أطاعَكَ فانفَعْه بطاعَتِهِ ... كما أطاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ

ومَن عصاكَ فعاقِبْه مُعاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ[٦]

ووجدتُ هذه الأبياتَ منقورةً في صخرةٍ بأرضِ كَسْكَر[٧]، أنشأهنَّ بعضُ

---

(١) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: نزلنا.

(٢) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٢٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٦ .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠ ، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ٣٠٤ ، والبغوي ٣/ ٢٥٥ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣١٤ لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) عرائس المجالس ص ٣٠٤ ، والصُّفَّاح: حجارة عِراض رِقَاق. القاموس (صفح).

(٥) في (ظ): المليك.

(٦) ديوان النابغة ص ٣٣ ، وذكر البغدادي في الخزانة ٣/ ٤٠٥ البيت الأول وقال: قوله: فاحْدُدْها، أي: امنع البرية، والحد: المنع. والفَنَد: خطأ الرأي والصنيع، وقال ابن الأعرابي: الفند: الظلم. اهـ وقوله: خيِّس، أي: ذَلِّل. والضَّمَد: الحقد. القاموس (خيس) و(ضمد).

(٧) في (د) و(م): يشكر، والمثبت من باقي النسخ، وعرائس المجالس ص ٣٠٤ ، والكلام منه، وكسكر مكان بالعراق. ينظر معجم البلدان ٤/ ٤٦١ .

أصحابِ سليمان عليه الصلاة والسلام:

ونحن ولا حولٌ سوى حولِ ربِّنا ... نَروحُ إلى الأوطان من أرضِ تَدْمُرِ
إذا نحن رُحْنا كان رَيْثُ[١] رَوَاحِنا ... مسيرةَ شهرٍ والغُدُوُّ لآخَرِ
أُناسٌ شَرَوْا لله طَوْعًا نفوسَهم ... بنَصْرِ ابنِ داودَ النبيِّ المُطَهَّرِ
لهم في معالي الدِّين فضلٌ ورأفةٌ ... وإن نُسِبُوا يوماً فمِن خير مَعْشَرِ
متى يركبوا الريحَ المطيعةَ أسرعتْ ... مُبادِرةً عن شَهْرها لم تُقَصِّرِ
تُظلُّهُمُ طيرٌ صفوفٌ عليهمُ ... متى رَفْرَفَتْ من فوقهم لم تُنَفَّرِ

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ القِطْر: النحاس؛ عن ابن عباس وغيره[٢]. أُسِيلت له مسيرةَ ثلاثةِ أيام كما يسيلُ الماء، وكانت بأرض اليمن، ولم يُذَبِ النحاسُ فيما روي لأحدٍ قَبْلَه، وكان لا يذوب، ومن وقته ذاب، وإنَّما ينتفع الناس اليومَ بما أَخرج الله تعالى لسليمان. قال قتادة: أسال الله عيناً يستعملُها فيما يريد[٣]. وقيل لعكرمة: إلى أين سالت؟ فقال: لا أدري[٤]!.

وقال ابن عباس ومجاهدٌ والسُّدِّي: أُجريت له عينُ الصُّفْر ثلاثةَ أيامٍ بلياليهن[٥]؛ قال القشيريُّ: وتخصيصُ الإسالة بثلاثةِ أيامٍ لا يُدْرَى ما حدُّه، ولعلَّه وَهْمٌ من الناقل؛ إذ في روايةٍ عن مجاهد: أنها سالت من صنعاءَ ثلاثَ ليالٍ مما يليها، وهذا يشير إلى بيانِ الموضع، لا إلى بيان المدَّة. والظاهرُ أنه جعل النحاس لسليمان في

---

(١) في عرائس المجالس: أمر، والرَّيْث: المقدار. القاموس (ريث).

(٢) تفسير الطبري ١٩/٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٣) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥/٣٩٨ بلفظ: أسال الله له عيناً من نحاس، أي: سالت وظهرت، فكان يستعملها فيما يريد.

(٤) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ٥/٢٢٨ .

(٥) أخرجه عن السدي ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٥/٢٢٨ ، ولم نقف عليه عن ابن عباس ومجاهد. والصُّفْر هو النحاس، أو النحاس الجيد. معجم متن اللغة (صفر).

معدنه عيناً تسيل كعيون المياه، دلالةً على نبوَّته.

قال الخليل: القِطْر: النحاسُ المُذَاب[١].

قلت: دليلُه قراءةُ مَن قرأ: «مِن قِطرِ آنٍ»[٢].

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بأمره ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: في الآخرة؛ قاله أكثر المفسرين[٣].

وقيل: ذلك في الدنيا، وذلك أنَّ الله تعالى وكَّل بهم ـ فيما روي عن السُّدِّيِّ ـ مَلكاً بيده سوطٌ من نار، فَمَن زاغ عن أمر سليمانَ ضَرَبه بذلك السوط ضربةً من حيث لا يراه، فأحْرقته[٤].

و«مَن» في موضعِ نصبٍ بمعنى: وسخَّرْنا له مِن الجنِّ مَن يعمل. ويجوز أن يكون في موضعِ رفعٍ، كما تقدَّم في الريح[٥].

قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ المحرابُ في اللغة: كلُّ موضعٍ مُرتفعٍ. وقيل للَّذِي يصلَّى فيه: محراب؛ لأنه يجب أن يُرفع ويُعَظَّم[٦]. وقال

(١) العين ٥/ ٩٥ .

(٢) القراءات الشاذة ص ٧٠ ، والمحتسب ١/ ٣٦٦ ، وسلفت ١٢/ ١٧٢ عند تفسير الآية (٥٠) من سورة إبراهيم.

(٣) الوسيط ٣/ ٤٨٩ ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٣٨ عن الضحاك، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٨٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٨٢ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٥١ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٥ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٦ .

الضحاك: «مِنْ مَحَارِيبَ» أي: من مساجد. وكذا قال قتادة. وقال مجاهد: المحاريبُ دون القصور[١]. وقال أبو عبيدة: المحرابُ: أَشْرفُ بيوتِ الدار[٢]، قال:

وماذا عليه أنْ ذكرتُ أَوَانِساً كغِزلان رَمْلٍ في محاريبِ أقيالِ[٣]

وقال عَدِيّ بن زيد:

كدُمَى العاجِ في المحاريب أو كالـ ـبِيض في الرَّوْضِ زهرُه مُسْتَنيرُ[٤]

وقيل: هو ما يُرقَى إليه بالدَّرَج كالغرفة الحسنة؛ كما قال: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ [مريم: ١١] أي: أَشْرَفَ عليهم.

وفي الخبر: أنه أمر أن يُعمل حولَ كرسيِّه ألفُ محرابٍ فيها ألفُ رجلٍ عليهم المسوحُ يَصْرخون إلى الله دائباً، وهو على الكرسيِّ في موكِبه والمحاريبُ حوله، ويقول لجنوده إذا ركب: سبِّحوا الله إلى ذلك العَلَم، فإذا بَلَغوه قال: هلِّلوه إلى ذلك العَلَم، فإذا بلغوه قال: كبِّروه إلى ذلك العَلَم الآخَر، فتَلِجُّ الجنودُ بالتسبيحِ والتهليلِ لَجَّةً واحدة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ جمع تمثال. وهو كلُّ ما صُوِّر على مثلِ صورةِ غيره من حيوانٍ أو غيرِ حيوان. وقيل: كانت من زجاجٍ ونحاسٍ ورخامٍ تماثيل أشياءَ ليست بحيوان.

وذُكر أنها صورُ الأنبياء والعلماء، وكانت تصوَّر في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادةً واجتهاداً؛ قال ﷺ: «إنَّ أولئك كان[٥] إذا مات فيهم الرجلُ الصالح

---

(١) أخرج أقوالهم الطبري ١٩/ ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) بنحوه في النكت والعيون ٤/ ٤٣٨، وفي مجاز القرآن ٢/ ١٤٤ لأبي عبيدة: المحراب: مقدَّم كلِّ مسجد ومصلًّى وبيت.

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٣٤. قال شارحه: الأقيال: الملوك، وهم يتخذون الغزلان ويُربُّونها، ومعنى قوله: أن ذكرت أوانساً، أي: ما عليه في أنْ شبَّبْتُ بهنَّ وطَرِبْتُ إليهن!.

(٤) الكامل للمبرد ٢/ ٩٤٩، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٣٦٠، والبيان والتبيين ١/ ٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٩٤.

(٥) في (ظ): كانوا.

بنَوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصُّورَ»[١]. أي: ليتذكَّروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة.

وهذا يدلُّ على أنَّ التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان، ونُسخ ذلك بشرع محمدٍ ﷺ. وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ في سورة نوح إن شاء الله تعالى[٢].

وقيل: التماثيلُ طِلَّسْمات[٣] كان يعملُها، ويُحرِّمُ على كلِّ مصوِّرٍ[٤] أن يتجاوزها، فلا يتجاوزها، فيعمل تمثالاً للذباب أو للبعوض أو للتماسيح في مكان، ويأمرهم ألا يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحد أبداً[٥] ما دام ذلك التمثالُ قائماً. وواحدُ التماثيل تمثالٌ بكَسْر التاء؛ قال:

ويا رُبَّ يومٍ قد لَهوْتُ ولَيلةٍ بآنِسَةٍ كأنَّها خطُّ تِمثالِ[٦]

وقيل: إنَّ هذه التماثيلَ رجالٌ اتَّخذهم من نحاس، وسأل ربَّه أن ينفخ فيها الروحَ ليقاتلوا في سبيل الله ولا يَحِيك فيهم السلاح، ويقال: إنَّ إسفنديارَ كان منهم[٧]، والله أعلم.

وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيِّه ونَسْرَيْن فوقه، فإذا أراد أن يصعد

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٢٥٢)، والبخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وتتمته: «... فأولئك شِرارُ الخَلْقِ عند اللهِ يومَ القيامة». وسلف ٢/ ٢٩٤ .

(٢) عند تفسير الآية (٢٣) منها.

(٣) هي نقوش تنقش على أجساد خاصة في ساعات مناسبة بكيفيات ملائمة لحوائج معلومة، واحدها: طِلَّسم. معجم متن اللغة (طلسم).

(٤) في (خ): مصر.

(٥) في (ظ): ويأمرهم ألا يتجاوزوه مرة واحدة أبداً.

(٦) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٢٩ . قال شارحه: قوله: بآنسة، أي: بامرأة ذات أُنْس. وقوله: خط تمثال، أي: نقش صورة، وإنما شبَّهها بالتمثال لأن الصانع له يتأنَّق في تحسينه.

(٧) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١١٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقوله: فلا يحيك، أي: فلا يؤثِّر. القاموس (حاك). قال الآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١١٩ : وهذا من العجب العجاب، ولا ينبغي لأحد اعتقادُ صحته، وما هو إلا حديثُ خرافةٍ.

بَسَطَ الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أَطْلَقَ النَّسران أجنحتهما[١].

الثالثة: حكى مكّيّ في «الهداية» له: أنَّ فرقةً تجوِّز التصوير، وتحتجُّ بهذه الآية. قال ابن عطية[٢]: وذلك خطأ، وما أحفظُ عن أحدٍ من أئمة العلم مَن يُجوِّزُه.

قلت: ما حكاه مكّيٌّ ذكره النحَّاس قبله؛ قال النحاس[٣]: قال قومٌ: عملُ الصورِ جائزٌ لهذه الآية، ولِمَا أخبر الله عزَّ وجلَّ عن المسيح[٤]. وقال قومٌ: قد صحَّ النهيُ عن النبيِّ ﷺ عنها، والتوعُّدُ لمن عَمِلَهَا أو اتَّخذها، فنسخ الله عزَّ وجلَّ بهذا[٥] ما كان مباحاً قبله، وكانت الحكمةُ في ذلك لأنه بُعث عليه الصلاة والسلام والصورُ تُعبد، فكان الأصلحُ إزالتَها.

الرابعة: التمثالُ على قسمين: حيوانٌ ومَوَات. والمواتُ على قسمين: جمادٌ ونامٍ؛ وقد كانت الجنُّ تصنعُ لسليمان جميعَه؛ لعموم قوله: «وتماثيلَ». وفي الإسرائيليات: أنَّ التماثيل من الطير كانت على كرسيِّ سليمان.

فإن قيل: لا عمومَ لقوله: «وَتَمَاثِيلَ» فإنَّه إثباتٌ في نكرة، والإثباتُ في النكرة لا عمومَ له، إنَّما العمومُ في النفي في النكرة.

قلنا: كذلك هو، بَيْدَ أنه قد اقترن بهذا الإثباتِ في النكرة ما يقتضي حملَه على العموم، وهو قوله: «ما يشاءُ» فاقترانُ المشيئةِ به يقتضي العمومَ له.

فإن قيل: كيف استجاز الصورَ المنهيَّ عنها؟[٦]

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨٢.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٩، وما قبله منه. وكتاب مكي اسمه: الهداية إلى بلوغ النهاية. كشف الظنون ٢/ ٢٠٤١.

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٦.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٥) في إعراب القرآن: فنسخ ﷺ.

(٦) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٥٨٨ (والكلام منه): كيف شاء عمل الصور المنهي عنها.

قلنا: كان ذلك جائزاً في شرعه، ونُسخ ذلك بشرعنا كما بيَّنَّا، والله أعلم. وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرَّماً[١].

الخامسة: مقتضى الأحاديث يدلُّ على أنَّ الصور ممنوعةٌ، ثم جاء: «إلَّا ما كان رَقْمًا في ثوب»[٢]، فخُصَّ من جملة الصور، ثم ثبتت الكراهيةُ فيه بقوله عليه الصلاة والسلام لعائشةَ في الثوب [المصوَّر]: «أَخِّريه عنِّي، فإنِّي كلَّما رأيتُه ذكرتُ الدنيا». ثم بِهَتْكِهِ الثوبَ المصوَّرَ على عائشةَ مَنَعَ منه، ثم بقَطْعِها له وسادتين حتى تغيَّرت الصورةُ وخرجت عن هيئتها، بان[٣] جواز ذلك إذا لم تكن الصورةُ فيه متَّصلةَ الهيئة، ولو كان متَّصلةَ الهيئةِ لم يَجز؛ لقولها في النُّمرُقة المصوَّرة: اشتريتُها لك لتقعد عليها وتَوَسَّدَها، فمنع منه، وتوعَّد عليه. وتبيَّن بحديث الصلاة إلى الصور أنَّ ذلك جائزٌ في الرَّقْم في الثوب ثم نَسَخَه المنعُ منه. فهكذا استقرَّ الأمر فيه، والله أعلم؛ قاله ابن العربيّ[٤].

السادسة: روى مسلم عن عائشةَ قالت: كان لنا سِتْرٌ فيه تمثالُ طائرٍ، وكان الداخِلُ إذا دخل استقبله، فقال رسول الله ﷺ: «حوِّلي هذا، فإنِّي كلَّما دخلتُ فرأيته ذكرتُ الدنيا». قالت: وكانت لنا قَطِيفةٌ كنَّا نقولُ: عَلَمُها حرير، فكنَّا نَلْبَسُها[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨٢ .

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٦٣٤٥)، والبخاري (٣٢٢٦)، ومسلم (٢١٠٦) عن أبي طلحة الأنصاري ﷺ وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٦٦ ، وأحمد (١٥٩٧٩)، والترمذي (١٧٥٠)، والنسائي في المجتبى ٨/ ٢١٢ عن سهل بن حنيف ﷺ. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. والرَّقْم: النقش والوشي. النهاية (رقم). والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٥٩٠ .

(٣) في (د) و(م): فإن.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٥٩٠ ، وما بين حاصرتين منه. وقول عائشة رضي الله عنها في النُّمرقة المصورة: اشتريتها لك...، قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٦٠٩٠)، والبخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧): (٩٦) عن عائشة رضي الله عنها. والنُّمرقة: الوسادة، وهي بضم النون والراء وبكسرهما، جمعها: نمارق. النهاية (نمرق). وسيأتي تخريج ما ذكر من أحاديث في المسألة التالية.

(٥) صحيح مسلم (٢١٠٧): (٨٨)، وهو عند أحمد (٢٤٢١٨).

وعنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا مستترةٌ[١] بِقِرام فيه صورةٌ، فتلوَّنَ وجهُه، ثم تناول الستر فهتكه، ثم قال: «إنَّ من أشدِّ الناس عذاباً يومَ القيامة الذين يُشَبِّهونَ بخلقِ الله عزَّ وجلَّ»[٢].

وعنها: أنه كان لها ثوبٌ فيه تصاويرُ ممدودٌ إلى سَهْوةٍ، فكان النبيُّ ﷺ يصلِّي إليه فقال: «أخِّريه عني» قالت: فأخَّرتُه، فجعلتُه وسادتين[٣].

قال بعض العلماء: ويمكن أن يكون تهتيكُه عليه الصلاة والسلام الثوبَ وأمْرُه بتأخيره وَرَعًا؛ لأنَّ محلَّ النبوَّةِ والرسالةِ الكمالُ. فتأمَّلْه.

السابعة: قال المزنيُّ عن الشافعيِّ: إنْ دُعي رجلٌ إلى عُرسٍ، فرأى صورةً ذاتَ رُوحٍ، أو صوراً ذات أرواح، لم يدخل إن كانت منصوبةً. وإن كانت تُوطَأُ فلا بأس، وإن كانت صورُ الشجر [فلا بأس]. ولم يختلفوا أنَّ التصاوير في الستور المعلَّقةِ مكروهةٌ غيرُ محرَّمةٍ. وكذلك عندهم ما كان خرطاً أو نقشاً في البناء[٤].

واستثنى بعضُهم ما كان رَقْماً في ثوبٍ؛ لحديث سهل بن حُنيف[٥].

قلت: لعن رسول الله ﷺ المصوِّرين ولم يستثن[٦]. وقولُه: «إنَّ أصحاب هذه الصور يعذَّبون يومَ القيامة، ويقال لهم: أَحيُوا ما خَلَقتُم»[٧] ولم يَسْتَثْنِ؛ وفي الترمذيِّ

---

(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٤/٨٨: في معظم النسخ: متسترةٌ، وفي بعضها: مستترة، أي: متخذة ستراً.

(٢) صحيح مسلم (٢١٠٧): (٩١)، وهو عند أحمد (٢٥٦٣١)، والبخاري (٥٩٥٤) و(٦١٠٩).

والقِرام: الستر الرقيق. النهاية (قرم).

(٣) صحيح مسلم (٢١٠٧): (٩٣)، وهو عند أحمد (٢٥٣٩٢) وفيهما: فجعلته وسائد. والسهوة: بيت صغير يشبه المَخْدَع، وقيل: هي شِبْهُ الطَّاقِ يُجعل فيه الشيء، وقيل: شبه الخزانة الصغيرة. المفهم ٥/٤٢٦.

(٤) التمهيد ١/٣٠٢، وما سلف بن حاصرتين منه.

(٥) سلف في بداية المسألة الخامسة.

(٦) سلف ص٢٢٣ من هذا الجزء.

(٧) أخرجه أحمد (٢٦٠٩٠)، والبخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧): (٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وسلفت قطعة منه في المسألة الخامسة.

عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج عُنُقٌ من النار يومَ القيامة له عينان تُبصران، وأُذنان تسمعان، ولسانٌ ينطقُ يقول: إنِّي وُكِّلتُ بثلاثٍ: بكلِّ جبارٍ عنيد، وبكلِّ مَن دعا مع الله إلهاً آخرَ وبالمصوِّرين» قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيح[١]؛ وفي البخاريِّ ومسلمٍ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون»[٢]: يدلُّ على المنع من تصوير شيءٍ، أيّ شيءٍ كان. وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النحل: ٦٠] على ما تقدَّم بيانُه فاعْلَمْه.

الثامنة: وقد استُثْنِيَ من هذا الباب لُعَبُ البنات، لِمَا ثبت عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ تزوَّجها وهي بنتُ سبعِ سنين، وزُفَّتْ إليه وهي بنتُ تسعٍ ولُعَبُها معها، ومات عنها وهي بنتُ ثمان عشرةَ سنةً. وعنها أيضاً قالت: كنتُ ألعبُ بالبنات عند النبيِّ ﷺ، وكان لي صواحبُ يلعبنَ معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمِعن منه، فيُسَرِّبُهنَّ إليَّ فيلعبن معي. خرَّجهما مسلم[٣]. قال العلماء: وذلك للضرورة إلى ذلك، وحاجةِ البنات حتى يتدرَّبنَ على تربية أولادهنّ. ثم إنه لا بقاءَ لذلك، وكذلك ما يُصنع من الحلاوة أو من العجين لا بقاءَ له، فرُخِّص في ذلك، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾[٤] قال ابنُ عرفة: الجواب[٥] جمعُ الجابية، وهي

---

(١) سنن الترمذي (٢٥٧٤)، وهو عند أحمد (٨٤٣٠). قوله: عُنُق، أي: طائفة وجانب من النار. الترغيب والترهيب ٣/ ٦٢٨ .

(٢) صحيح البخاري (٥٩٥٠)، وصحيح مسلم (٢١٠٩)، وهو عند أحمد (٣٥٥٨).

(٣) في صحيحه (١٤٢٢): (٧١)، و(٢٤٤٠). والحديث الثاني عند أحمد (٢٤٢٩٨)، والبخاري (٦١٣٠). قولها: ينقمعن، أي: ينقبضن ويستَتِرْن حياءً من النبي ﷺ وهيبة له. وقولها: يُسَرِّبُهنّ، أي: يُرسلهن ويؤنسهنَّ حتى يزول عنهنَّ ما كان أصابهنَّ.

(٤) في (ظ): كالجوابي، وهي قراءة ابن كثير من السبعة وصلاً ووقفاً، وأثبت الياء في الوصل ورش وأبو عمرو. السبعة ص ٥٢٧، والتيسير ص ١٨٢ .

(٥) في (م): الجوابي.

حُفيرةٌ كالحوض. وقال مجاهد: كحياض الإبل[١]. وقال ابن القاسم عن مالك: كالجَوْبَة من الأرض[٢]، والمعنى متقارب، وكان يقعد على الجَفْنَة الواحدة ألفُ رجل.

النّحّاس[٣]: «وجِفَانٍ كالجَوابي» الأَوْلَى أن تكون بالياء، ومَن حَذَفَ الياء قال: سبيلُ الألف واللامِ أن تدخل على النكرة فلا يغيِّرها عن حالها، فلمَّا كان يقال: جوابٍ، ودخلت الألف واللام؛ أُقرَّ على حاله، فحذف[٤] الياء. وواحدُ الجوابي جابية، وهي القِدرُ العظيمة، والحوضُ العظيم الكبير الذي يُجْبَى فيه الشيءُ، أي: يجمع، ومنه: جَبَيْتُ الخَراجَ، وجَبَيتُ الجراد، أي: جعلت[٥] الكساءَ فجمعته فيه. إلَّا أنَّ لَيْثًا روى عن مجاهد قال: الجَوابي جمعُ جَوبة. والجَوبةُ: الحفرةُ الكبيرة تكون في الجبل [يجتمع] فيها ماء المطر.

وقال الكسائيُّ: جَبَوْتُ الماءَ في الحوض وجَبَيْتُه، أي: جمعتُه، والجابية: الحوضُ الذي يُجبى فيه الماء للإبل، قال:

تَروحُ على آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كجابيةِ الشيخِ العراقيِّ تَفْهَقُ[٦]

ويروى أيضاً:

نَفَى الذمَّ عن آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كجابيةِ السَّيحِ ... ...

ذكره النَّحّاس[٧].

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٣٣ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٥٩٠ .

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٦ ، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في إعراب القرآن: بحذف.

(٥) في (ظ): بسطت.

(٦) البيت للأعشى ميمون بن قيس، وسلف عجزه ٨/ ٤٥١ ، وذكره بهذه الرواية الطبري ١٩/ ٢٣٢ ، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٨٢ ، وهو في الديوان ص ٢٧٥ برواية: نفى الذم عن آل المحلق... ، وستأتي. قوله تفهقُ، أي: تمتلئ.

(٧) في معاني القرآن ٥/ ٣٩٩ . والسَّيح: الماء الجاري على وجه الأرض، أما رواية: الشيخ، فيقال: =

قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ قال سعيد بن جُبير: هي قدورُ النحاس تكون بفارس. وقال الضحَّاك: هي قدورٌ تُعمل من الجبال[١]. غيرُه: قد نُحِتَتْ من الجبال الصُّمِّ ممَّا عَمِلَتْ له الشياطين، أَثَافِيها[٢] منها منحوتةٌ هكذا من الجبال.

ومعنى «رَاسِيَاتٍ»: ثوابت، لا تُحملُ ولا تحرَّك لعِظَمها. قال ابن العربي[٣]: وكذلك كانت قدورُ عبد الله بنِ جُدعان، يُصعَدُ إليها في الجاهلية بسُلَّم، وعنها عبَّر طرفةُ بن العبد بقوله:

كالجَوَابي لاتَنِي مُتْرَعَةً لِقِرَى الأَضْيافِ أو للمحتَضِرْ[٤]

قال ابن العربيِّ: ورأيتُ برباطِ أبي سعيد قدورَ الصوفيةِ على نحوِ ذلك، فإنَّهم يطبخون جميعاً، ويأكلون جميعاً من غير استئثارِ واحدٍ منهم على أحد.

قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ قد مضى معنى الشكرِ في «البقرة»[٥] وغيرها. وروي أنَّ النبيَّ ﷺ صعد المنبر فتلا هذه الآيةَ ثم قال: «ثلاثٌ مَن أُوتِيهنَّ فقد أوتيَ مثلَ ما أوتي آلُ داود» قال: فقلنا: ما هنّ؟ فقال: «العدلُ في الرضا والغضب، والقَصْدُ في الفقر والغنى، وخشيةُ اللهِ في السرِّ والعَلَانية». خرجه الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة[٦].

وروي أنَّ داودَ عليه السلام قال: «يا ربّ، كيف أُطيقُ شكركَ على نعمك،

= أراد كسرى، ويقال: أراد شيخاً من فلاحي سواد العراق غير معين. المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠، وينظر ما سلف ٨/ ٤٥١.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٦، وفيه: ... تعمل من حجارة الجبال.

(٢) جمع أُثْفِيَّة، وهي الحجر يوضع عليه القدر. القاموس (ثفي).

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٥٩٠، وما قبله منه.

(٤) ديوان طرفة ص ٥٦، والخزانة ٩/ ٣٧٩، وفيه: لاتني، أي: لا تفتر ولا تزال، والقِرى: القيام بالضيف، والمحتضر: النازل على الماء.

(٥) ٢/ ١٠٤ وما بعدها.

(٦) نوادر الأصول ص ١٣٠.

وإلهامي وقدرتي على شكرك نعمةٌ لك» فقال: «يا داودُ، الآن عَرَفْتني»[١]. وقد مضى هذا المعنى في سورة إبراهيم[٢]، وأنَّ الشُّكرَ حقيقتُه: الاعترافُ بالنعمة للمنعِم، واستعمالُها في طاعته. والكُفْرانُ: استعمالُها في المعصية. وقليلٌ مَن يفعلُ ذلك؛ لأنَّ الخير أقلُّ من الشرّ، والطاعة أقلُّ من المعصية، بحسَبِ سابقِ التقدير[٣].

وقال مجاهد: لمَّا قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ قال داودُ لسليمانَ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد ذكر الشكر فاكْفِني صلاةَ النهارِ أَكْفِكَ صلاةَ الليل، قال: لا أَقْدِرُ، قال: فاكفني؛ قال الفاريابيُّ: أراه قال: إلى صلاة الظهر. قال: نعم، فكفاه[٤].

وقال الزُّهريُّ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ أي: قولوا: الحمدُ لله[٥].

و«شُكْرًا» نصب على جهة المفعول، أي: اعملوا عملاً هو الشكر. وكأنَّ الصلاة والصيامَ والعباداتِ كلَّها هي في نفسها الشكرُ إذ سدَّت مَسَدَّه[٦]، ويبيِّنُ هذا قولُه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۖ﴾ وهو المرادُ بقوله: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾. وقد قال سفيان بن عُيَيْنَةَ في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي﴾ [لقمان: ١٤]: أنَّ المرادَ بالشكر الصلواتُ الخمس[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠ ، وأورده بنحوه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (١١).

(٢) ١٢/ ١٠٩ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٥٩١ .

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٢٨ وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠ ، وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نَصْبُه على الحال، أي: اعملوا بالطاعات في حال شكر منكم لله على هذه النعم.

(٧) سلف عند تفسير الآية (١٤) من سورة لقمان.

وفي «صحيح» مسلم[١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقومُ من الليل حتى تَفَطَّرَ قدماه، فقالت له عائشةُ رضي الله عنها: أتصنعُ هذا وقد غَفَر الله لك ما تقدَّم من ذَنْبِكَ وما تأخَّر؟ فقال: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا». انفرد بإخراجه مسلم[٢].

فظاهِرُ القرآنِ والسنَّةِ أنَّ الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصارِ على عمل اللسان، فالشكرُ بالأفعال عملُ الأركان، والشكر بالأقوال عملُ اللسان. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ يَحتَمِلُ أن يكون مخاطبةً لآلِ داود، ويحتمل أن يكون مخاطبةً لمحمدٍ ﷺ[٣]؛ قال ابن عطية: وعلى كلِّ وجهٍ ففيه تنبيهٌ وتحريض. وسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلاً يقول: اللهمَّ اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: أردتُ قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾. فقال عمر ﷺ: كلُّ الناسِ أَعْلَمُ منك يا عمر[٤]!.

وروي أنَّ سليمانَ عليه السلام كان يأكل الشعير، ويُطْعِم أهلَه الخُشْكارَ، ويُطعم المساكين الدَّرْمَك[٥]. وقد قيل: إنه كان يأكل الرماد ويَتَوَسَّدُه، والأولُ أصحّ، إذ الرمادُ ليس بقُوت.

ورويَ أنه ما شبع قَطُّ، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف إنْ شبعتُ أن أَنسى الجياع[٦]. وهذا من الشكر ومن القليل، فتأمَّلْه، والله أعلم.

---

(١) برقم (٢٨٢٠).

(٢) كذا قال المصنف، وقد أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، وهو عند أحمد (٢٤٨٤٤).

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠ (والكلام منه): لآل محمد ﷺ.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠ ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٢٢ .

(٥) قطعة من رسالة مطولة للحسن البصري أرسلها إلى عمر بن عبد العزيز، وقد أخرجها الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٣٨ - ٣٤٤ . والخُشْكار: الخبز الأسمر غير النقي. والدَّرْمَك: الدقيق الأبيض. المعجم الوسيط (خشكر) و(درمك).

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٠ .

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: فلمَّا حَكَمْنا على سليمانَ بالموت حتى صار كالأمرِ المفروغِ منه ووقع به الموتُ ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ وذلك أنه كان متَّكِئًا على المِنْسأة ـ وهي العصا بلسان الحَبَشةِ في قول السُّدّي[1]. وقيل: هي بلغة اليمن؛ ذكره القشيريُّ ـ فمات كذلك وبقي خافيَ الحال إلى أن سقط ميتاً لانكسار العصا؛ لأكلِ الأَرَضَةِ إياها، فعُلم موتُه بذلك، فكانت الأَرَضَةُ دالَّةً على موته، أي: سبباً لظهورِ موته. وكان سأل الله تعالى ألَّا يعلموا بموته حتى تمضيَ عليه سنة.

واختلفوا في سبب سؤاله لذلك على قولين:

أحدهما: ما قاله قتادة وغيره، قال: كانت الجنُّ تدَّعي عِلْمَ الغيب، فلمَّا مات سليمان عليه السلام وخفي موتُه عليهم «تبينت الإنس أن الجن لو كانوا[2] يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين». ابن مسعود: أقام حولاً والجنُّ تعملُ بين يديه، حتى أكلت الأَرَضَةُ مِنْسَأتَهُ فسقط[3]. ويُروى أنه لمَّا سقط لم يُعلم منذ [كم] مات، فوُضِعت الْأَرَضةُ على العصا، فأكلت منها يوماً وليلةً، ثم حَسَبوا على ذلك، فوجدوه قد مات منذُ سنة[4].

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٣٨ .

(٢) في (خ) و(د) و(م): تبينت الجن أن لو كانوا. والخبر أخرجه الطبري ١٩/ ٢٤٢ - ٢٤٣ ، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور ٥/ ٢٣٠ وفيهما: ... فلما خر تبينت الجن، وفي بعض القراءة: فلما خرَّ تبينت الإنس أن الجن لو كانوا ...، وهي قراءة شاذة كما سيرد.

(٣) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٠٣ .

(٤) تفسير الطبري ١٩/ ٢٤٢ ، وعرائس المجالس ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، وما سلف بين حاصرتين منهما.

وقيل: كان رؤساء الجنِّ سبعةً، وكانوا مُنْقادِينَ لسليمان عليه السلام، وكان داودُ عليه السلام أسَّس بيت المقدس، فلمَّا مات أوصى إلى سليمانَ في إتمامِ مسجدِ بيتِ المقدس، فأمر سليمانُ الجنَّ به، فلمَّا دنت وفاتُه قال لأهله: لا تُخبروهم بموتي حتى يُتموا بناءَ المسجد، وكان قد بقي لإتمامه سنة[١].

وفي الخبر: أنَّ ملَك الموت كان صديقه، فسأله عن آية موته فقال: أن تخرج من موضع سجودك شجرةٌ يقال لها: الخروب[٢]، فلم يكن يومٌ يصبح فيه إلَّا تَنبتُ في بيت المقدس شجرةٌ فيسألُها: ما اسمُك؟ فتقول الشجرةُ: اسمي كذا وكذا، فيقول: ولأيِّ شيءٍ أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتُقْطَع، ويَغرِسُها في بستان له، ويأمر بكَتْبِ منَافِعها ومَضَارِّها واسمِها وما تَصْلُحُ له في الطبِّ، فبينما هو يصلِّي ذاتَ يومٍ إذ رأى شجرةً نبتت بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروبة[٣]، قال: ولأيِّ شيء أنت؟ قالت: لخرابِ هذا المسجد، فقال سليمان: ما كانَ الله ليخربه وأنا حيٌّ، أنتِ التي على وَجْهِكِ هلاكي وهلاكُ بيتِ المقدس! فنزعها وغرسها في حائطه، ثم قال: اللهمَّ عَمِّ عن الجنِّ موتي حتى تعلم الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب. وكانت الجنُّ تُخبِرُ الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غدٍ. ثم لبس كَفَنَه وتحنَّط، ودخل المحرابَ وقام يصلِّي، واتكأ على عصاه على كرسيِّه، فمات ولم تعلم الجنُّ إلى أن مضت سنةٌ، وتمَّ بناءُ المسجد[٤].

---

(١) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٤١ ، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٨٤ .

(٢) في (م): الخرنوبة.

(٣) في (م): الخرنوبة.

(٤) أخرجه من قوله: فلم يكن يوم يصبح فيه ...، الطبري ١٩/ ٢٤١ عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذا الأثر ـ والله أعلم ـ إنما هو مما تُلُقِّي من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدَّق منها إلا ما وافق الحق، ولا يكذَّب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب.

قال أبو جعفر النحَّاس: وهذا أحسنُ ما قيل في الآية[١]، ويدلُّ على صحته الحديثُ المرفوع؛ روى إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «كان نبيُّ اللّهِ سليمان بن داود عليهما السلام إذا صلَّى رأى شجرةً نابتةً بين يديه، فيسألُها: ما اسمُك؟ فإن كانت لغرسٍ غُرست، وإن كانت لدواءٍ كُتبت، فبينما هو يصلِّي ذاتَ يومٍ إذا شجرةٌ نابتةٌ بين يديه، فقال: ما اسمك؟ قالت: الخرنوب[٢]؛ فقال: لأيِّ شيءٍ أنتِ؟ فقالت: لخرابِ هذا البيت، فقال: اللَّهُمَّ عَمِّ عن الجنِّ موتي حتى تعلم الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب. فنَحَتَها عصاً، فتوكَّأ عليها حولاً وهم لا يعلمون، فسقطت، فعلم الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيبَ، فنظروا مقدارَ ذلك فوجدوه سنة[٣]».

وفي قراءةِ ابن مسعود وابن عباس: «تَبَيَّنَت الإنْسُ أنْ لو كان الجنُّ يَعلمون الغَيبَ»[٤].

وقرأ يعقوبُ في رواية رُوَيْس: ﴿تُبُيِّنَتِ الجنُّ﴾ غير مسمَّى الفاعلِ[٥]. ونافع

---

(١) قال النحاس هذا الكلام في معاني القرآن ٥/ ٤٠٣ عقب قول قتادة: كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب، فلما مات سليمان ولم تعلم به الجن، تَبَيَّنَت الجنُّ للإنس أنهم لا يعلمون الغيب. وقد سلف قريباً.

(٢) في (ظ): الخروب، وفي (م): الخرنوبة.

(٣) أخرجه البزار (٢٣٥٥ - كشف)، والطبري ١٩/ ٢٤٠ من طريق إبراهيم بن طهمان به. وأخرجه البزار (٢٣٥٦) من طريق سفيان بن عيينة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه موقوفاً.
قال البزار: لا نعلم أسنده إلا إبراهيم، وقد رواه جماعة عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً.
قلنا: وأخرجه الحسين المروزي في زياداته على الزهد لابن المبارك (١٠٧٢) من طريق سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً أيضاً. وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: والأقرب أن يكون موقوفاً.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٥ ، وإعراب القرآن له ٣/ ٣٣٨ . وذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٨٨ بلفظ: «تبيَّنتِ الإنسُ أنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب».

(٥) النشر ٢/ ٣٥٠ .

وأبو عمرو: ﴿تأكلُ مِنْساتَه﴾ بألفٍ بين السين والتاء من غير همز. والباقون بهمزةٍ مفتوحةٍ موضعَ الألف، لغتان، إلَّا أنَّ ابن ذَكْوَان أَسْكَنَ الهمزةَ تخفيفاً[١].

قال الشاعر في ترك الهمزة:

إذا دَبَبْتَ على المِنْساةِ من كِبَرٍ ... فقد تَبَاعَدَ عنكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ[٢]

وقال آخَر فَهمَزَ وفتح:

ضربنا بمِنْسَأةٍ وَجْهَهُ ... فصار بذاك مهيناً ذليلاً[٣]

وقال آخر:

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلٍ لا أباكَ ضربتَه ... بمنسأةٍ قد جَرَّ حبلُكَ أحْبُلَا[٤]

وقال آخر فسكَّن همزها:

وقائمٍ قد قام من تُكَأْتِهْ ... كقومةِ الشيخِ إلى مِنْسَأْتِهْ[٥]

وأصلُها: من نَسَأْتُ الغنمَ، أي: زَجَرتُها وسُقْتُها، فسمِّيت العصا بذلك لأنه يُزجر بها الشيءُ ويساق، وقال طَرفَة:

أمُونٍ كألواح الإران نَسَأْتُها ... على لاحِبٍ كأنه ظَهْرُ بُرْجُدِ[٦]

---

(١) السبعة ص ٥٢٧، والتيسير ص ١٨٠. ولم يذكر ابن مجاهد ابن ذكوان. وقال الداني: وحمزة إذا وقف جعلها بين بين على أصله.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٤٥، وتفسير الطبري ١٩/ ٢٣٩، والمحتسب ٢/ ١٨٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١١.

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٢١، وفيه: ضربت، بدل: ضربنا.

(٤) البيت لأبي طالب كما في المنمق لابن حبيب ص ١٤٢، والأوائل للعسكري ١/ ٥٤، والبيان والتبيين ٣/ ٣٠، وهو دون نسبة في مجاز القرآن ٢/ ١٤٥، والمنصف لابن جني ٢/ ٥٩، ولفظ المصنف موافق لما في مجاز القرآن، وفي باقي المصادر اختلافٌ يسير.

(٥) ذكر أبو عمرو الداني في التيسير ص ١٨٠ برواية:

صريع خمر قام من وَكَأَتِهْ ... كقومة الشيخ ...

(٦) ديوان طرفة ص ٢٢. قوله: أمونٍ، أي: يُؤْمَن عِثَارها، ويعني ناقته. والإران: تابوت يحمل فيه الميت، شبَّهها بألواح الإران لشدتها. نسأتها: ضربتها بالمنسأة، وهي العصا، ويروى: نَصَأْتُها، وهما واحد. =

فسكَّن هَمْزَها. قال النحاس[١]: واشتقاقُها يدلُّ على أنَّها مهموزةٌ؛ لأنَّها مشتقةٌ من نَسَأْتُه، أي: أخَّرته ودفعته، فقيل لها: مِنْسأة؛ لأنها يُدفع بها الشيءُ ويؤخَّر، وقال مجاهدٌ وعكرمةُ: هي العصا. فَمَن[٢] قرأ: «مِنْساتَه» أبدل من الهمزة ألفًا، فإن قيل: البدلُ من الهمزة قبيحٌ جدًّا، وإنَّما يجوز في الشعر على بُعْدٍ وشذوذ، وأبو عمرو ابن العلاء لا يغيبُ عنه مثلُ هذا لا سيما وأهلُ المدينة على هذه القراءة. فالجوابُ على هذا: أنَّ العربَ استعملتْ في هذه الكلمةِ البدلَ ونَطَقوا بها هكذا، كما يقع البدلُ في غير هذا ولا يقاسُ عليه، حتى قال أبو عمرو: ولستُ أدري ممن هو[٣]، إلَّا أنَّها غيرُ مهموزة؛ لأنَّ ما كان مهموزاً فقد يُتركُ همزُه، وما لم يكن مهموزاً لم يَجُزْ همزُه بوجه.

المهدويُّ: ومَن قرأ بهمزةٍ ساكنةٍ فهو شاذٌّ بعيد؛ لأنَّ هاءَ التأنيثِ لا يكونُ ما قَبْلَها إلَّا متحرِّكاً أو ألفاً، لكنَّه يجوزُ أن يكون مِمَّا سُكِّنَ من المفتوح اسْتِخْفافاً، ويجوز أن يكون لَمَّا أبدل الهمزةَ ألفاً على غير قياسٍ، قَلَبَ الألفَ همزةً كما قَلَبوها في قولهم: العَأْلَم والخأتم،

وروي عن سعيد بن جبير: «مِن» مفصولة «سَأَتِه» مهموزة مكسورة التاء[٤]؛ فقيل: إنَّه مِن سِئَةِ القوسِ في لغة مَن همزها، وقد روي همزُ سِيَةِ القوسِ عن رؤبة. قال

= واللاحب: الطريق الذي قد أُثِّر فيه، وهو بمعنى ملحوب، ويجوز أن يكون على بابه، كأنه يَلحب أخفاف الإبل، أي يؤثر فيها. والبرجد: كساء مخطط. شرح المعلقات للنحاس ١/ ٦٠ ، وللتبريزي ص٨١ .

(١) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٧ .

(٢) في النسخ: ثم، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٣) في إعراب القرآن: مم هي.

(٤) المحتسب ٢/ ١٨٦ ، وهي في القراءات الشاذة ص ١٢١ دون نسبة. ويجوز فيها فتح السين وكسرها، مثل: الضِّعَة والضَّعة، ومعناها: من طرف عصاه. ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٧ . والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٢.

الجوهريُّ[١]: سِيَةُ القوس ما عُطِفَ من طرفيها، والجمع سِيَات، والهاءُ[في الواحد] عِوَضٌ من الواو، والنسبةُ إليها سِيَويّ، قال أبو عبيدة: كان رؤبةُ يهمزُ سِيَة القوس، وسائر العرب لا يهمزونها.

وفي دابة الأرض قولان: أحدهما: أنَّها الأَرَضَة؛ قاله ابن عباس ومجاهدٌ وغيرهما. وقد قرئ: «دابةُ الأَرَضِ» بفتح الراء، وهو واحدُ الأَرَضة؛ ذكره الماورديّ[٢]. الثاني: أنَّها دابةٌ تأكل العيدانَ.

قال الجوهريّ[٣]: والأَرَضَةُ ـ بالتحريك ـ: دُوَيبَّةٌ تأكلُ الخشب؛ يقال: أَرِضَت الخشبةُ تُؤرَضُ أَرْضاً ـ بالتسكين ـ فهي مأروضةٌ: إذا أكلتها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سقط ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ قال الزجَّاج[٤]: أي: تبيَّنت الجنُّ موتَه. وقال غيره: المعنى: تبيَّن أمرُ الجنِّ، مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. وفي التفسير بالأسانيد الصِّحاح عن ابن عباس قال: أقام سليمانُ بن داودَ عليهما الصلاة والسلام حولاً لا يُعلم بموته وهو متكئٌ على عصاه، والجنُّ منصرفةٌ فيما كان أمَرَها به، ثم سقط بعد حول [وقرأ ابن عباس:] «فلمَّا خَرَّ تبيَّنت الإنسُ أنْ لو كان الجنُّ يعلمون الغيبَ ما لبثوا في العذاب المهين» وهذه القراءةُ من ابن عباس على جهة التفسير[٥].

وفي الخبر: أنَّ الجنَّ شكرت ذلك للأَرَضَة، فأينما كانت يأتونها بالماء، قال

---

(١) في الصحاح: (سيا)، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) في النكت والعيون ٤/ ٤٤١ والقول الثاني بعده منه أيضاً. وقوله: وهو واحد الأرضة، خطأ. والصواب: وهو جمع الأرضة، كما ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٢١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤١١. وقول ابن عباس ومجاهد أخرجه الطبري ١٩/ ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٣) في الصحاح (أرض).

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٢٤٧.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨، وما سلف بين حاصرتين منه.

السُّدِّيُّ: والطينِ، ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب، فإنَّه مما يأتيها به الشياطين شكراً، وقالت: لو كنتِ تأكلين الطعامَ والشرابَ لأتيناك بهما[١].

و«أنْ» في موضع رفعٍ على البدل من الجنِّ، والتقدير: تبيَّن أمرُ الجنِّ، فحذف المضاف، أي: تبيَّن وظَهَر للإنس وانكشف لهم أمرُ الجنِّ أنَّهم لا يعلمون الغيب. وهذا بدلُ الاشتمال. ويجوز أن تكون في موضع نصبٍ على تقدير حذف اللام[٢]. و«لَبِثُوا»: أقاموا. و«الْعَذَابِ الْمُهِينِ»: السُّخْرة والحمل والبنيان وغير ذلك.

وعمِّر سليمان ثلاثاً وخمسين سنةً، ومدَّةُ ملكِه أربعون سنة، فملك وهو ابنُ ثلاثَ عَشْرةَ سنةً، وابتدأ في بنيان بيتِ المقدس وهو ابنُ سَبْعَ عَشْرةَ سنة[٣]. وقال السُّدِّيّ وغيره: كان عُمر سليمان سبعاً وستِّين سنة، ومَلَكَ وهو ابنُ سبع عشرةَ سنة، وابتدأ في بنيان بيت المقدس وهو ابنُ عشرين سنةً، وكان ملكه خمسين سنة.

وحكيَ أنَّ سليمان عليه السلام ابتدأ بنيانَ بيتِ المَقْدِسِ في السنة الرابعة من ملكه، وقرَّب بعد فراغه منه اثني عَشَرَ ألفَ ثورٍ، ومئةً وعشرين ألفَ شاة، واتخذ اليومَ الذي فرغ فيه من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء فقال: اللهمَّ أنت وهبتَ لي هذا السلطانَ وقوَّيتني على بناء هذا المسجد، اللهمَّ فأَوْزِعْنِي شُكْرَك على ما أنعمتَ عليَّ، وتوفَّني على مِلَّتك، ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني، اللهمَّ إنِّي اسألك لمَن دخل هذا المسجد خمسَ خصال: لا يدخله مذنبٌ دخل للتوبة إلَّا غفرتَ له وتبتَ عليه، ولا خائفٌ إلا أَمَّنته، ولا سقيمٌ إلَّا شَفَيْتَه، ولا فقيرٌ إلا أغنيتَه. والخامس: ألَّا تصرفَ نظرك عمَّن دخله حتى يخرج منه، إلَّا مَن أراد إلحادًا أو ظلماً، يا ربَّ العالمين؛ ذكره الماورديّ[٤].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٢٤٢ ، وعرائس المجالس ص ٣٣٠ ، والنكت والعيون ٤/ ٤٤١ . والنكارة في الخبر ظاهرة.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٨٥ .

(٣) عرائس المجالس ص ٣٣٠ .

(٤) في النكت والعيون ٤/ ٤٤٢ .

قلت: وهذا أصحُّ ممَّا تقدَّم أنه لم يفرغ بناؤه إلَّا بعد موته بسنة، والدليلُ على صحة هذا ما خرَّجه النسائيُّ وغيره بإسنادٍ صحيح من حديث عبد الله بن عمرو عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ سليمانَ بن داود لمَّا بنَى بيتَ المقدسِ سأل الله تعالى خِلَالاً ثلاثةً: حُكْمًا يصادفُ حكمه، فأُوتيَه، وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأُوتيَه، وسأل الله تعالى حين فرغ من بنائه المسجدَ ألَّا يأتيه أحدٌ لا يَنْهَزُه إلَّا الصلاةُ فيه أن يخرج من خطيئته كيومَ وَلَدَتهُ أمُّه». وقد ذَكَرنا هذا الحديثَ في «آل عمران»[1] وذَكَرْنا بناءَه في «سبحان»[2].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم آية﴾ قرأ نافع وغيره بالصَّرْفِ والتنوين على أنه اسمُ حَيٍّ، وهو في الأصل اسمُ رجلٍ، جاء بذلك التوقيفُ عن النبيِّ ﷺ[3]. روى الترمِذيُّ قال: حدَّثنا أبو كُريب وعبد بن حُميد قالا: حدَّثنا أبو أسامة، عن الحسن بن الحكم النَّخَعيِّ قال: حدَّثنا أبو سَبْرةَ النَّخعيُّ، عن فَروةَ بن مُسيك المُرَاديِّ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، أَلَا أقاتلُ مَن أَدْبَرَ من قومي بمن أَقْبَلَ منهم؟ فَأذِنَ لي في قتالهم وأمَّرني، فلمَّا خرجتُ من عنده سأل عنِّي: «ما فَعَلَ الغُطَيفيُّ»؟ فأُخبِر أنِّي قد سِرتُ، قال: فأرسل في أَثري فردَّني، فأتيتُه وهو في نَفَرٍ من أصحابه، فقال: «ادعُ القومَ، فَمَن أَسْلَمَ منهم فاقْبَلْ منه، ومَن لم يُسْلِم فلا تَعْجَل حتى أُحْدِثَ إليك». قال: وأُنزل في «سبأ» ما أُنزل، فقال رجل: يا رسول الله، وما

---

(١) ٥/ ٢٠٧، وهو في سنن النسائي (المجتبى) ٢/ ٣٤. قوله: لا ينهزه، أي: لا يدفعه. وقوله: حكماً يصادف حكمه، أي: يوافق حكم الله تعالى، والمراد التوفيق للصواب في الاجتهاد. قاله السندي.

(٢) ١٣/ ١٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٨، وقرأ بالصرف والتنوين نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. السبعة ص ٤٨٠، والتيسير ص ١٦٧.

سبأٌ؟ أرضٌ أو امرأةٌ؟ قال: «ليس بأرضٍ ولا بامرأةٍ، ولكنه رجلٌ ولَد عشرةً من العرب، فتَيامَنَ منهم ستةٌ وتَشاءَمَ منهم أربعةٌ، فأمَّا الذين تَشَاءموا فَلخْمٌ وجُذامٌ وغَسَّانُ وعاملةُ. وأمَّا الذين تَيامَنوا فالأَزْدُ والأَشْعريُّون وحِمْيرٌ وكِنْدةُ ومَذْحِجٌ وأنمارٌ» فقال رجل: يا رسولَ الله، وما أنمار؟ قال: «الذين منهم خَثْعَمٌ وبَجِيلةٌ». ورويَ هذا عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريب[١].

وقرأ ابن كثير[٢] وأبو عمرو: «لِسَبَأَ» بغيرِ صَرْفٍ، جعله اسماً للقبيلة، وهو اختيارُ أبي عبيد، واستدلَّ على أنه اسمُ قبيلةٍ بأنَّ بعده: «في مساكنهم»؛ النحاس[٣]: ولو كان كما قال: لَكان: في مساكنها. وقد مضى في «النمل» زيادةُ بيانٍ لهذا المعنى[٤].

وقال الشاعر في الصَّرْف:

الـواردون وتَـيْـمٌ فـي ذُرى سـبـأٍ قد عضَّ أعناقَهَمْ جِلْدُ الجواميسِ[٥]

وقال آخر في غير الصرف:

مـن سَـبَـأَ الـحـاضـريـن مـأرِبَ إذ يَـبْـنُـون مـن دون سَـيْـلِـه الـعَـرِمـا[٦]

وقرأ قُنْبُل وأبو حَيْوَةَ والجَحْدَريُّ: «لِسَبْأٍ»؛ بإسكان الهمزة[٧].

---

(١) سنن الترمذي (٣٢٢٢)، وهو عند أحمد (٢٤٠٠٩/ ٨٩)، وأخرجه مختصراً أبو داود (٣٩٨٨).

قوله: فتيامن، أي: أخذوا ناحية اليمن وسكنوا بها. وقوله: تشاءم، أي: قصدوا جهة الشام. تحفة الأحوذي ٩/ ٨٩ . والغُطَيْفي نسبة إلى غطيف، وهو بطن من مُراد. الأنساب للسمعاني ٩/ ١٦٣ . وحديث ابن عباس أخرجه أحمد (٢٨٩٨).

(٢) في رواية البزي. السبعة ص ٤٨٠ ، والتيسير ص ١٦٧ .

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٨ ، وما قبله منه.

(٤) عند تفسير الآية (٢٢) منها.

(٥) البيت لجرير، وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب ١/ ١٣٠ برواية:

تـدعـوك تـيـم وتـيـم فـي قـرى سـبـأٍ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

والبيت برواية المصنف في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٨ .

(٦) البيت للنابغة الجعدي أو أمية بن أبي الصلت، كما في سيرة ابن هشام ١/ ١٤ ، وطبقات الفحول ١/ ١٢٦ . وهو في ديوان النابغة الجعدي ص ١٣٤ برواية: أو سبأ ...

(٧) السبعة ص ٤٨٠ ، والتيسير ص ١٦٧ عن قنبل.

﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ قراءةُ العامَّةِ على الجمع[١]، وهي اختيارُ أبي عبيدٍ وأبي حاتم؛ لأنَّ لهم مساكنُ كثيرةٌ وليس بمسكنٍ واحد.

وقرأ إبراهيم وحمزةُ وحفصٌ: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ موحَّداً، إلَّا أنَّهم فتحوا الكاف[٢].

وقرأ يحيى والأعمشُ والكسائيُّ موحَّداً كذلك، إلَّا أنَّهم كَسَروا الكاف[٣].

قال النحاس[٤]: ومساكنُ في هذا أَبْيَنُ؛ لأنه يجمع اللفظَ والمعنى، فإذا قلت: «مسكنهم» كان فيه تقديران: أحدهما: أن يكون واحداً يؤدِّي عن الجمع. والآخر: أن يكون مصدراً لا يثنَّى ولا يُجمع، كما قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة:٧]. فجاء بالسمع موحَّدًا. وكذا: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر:٥٥]. و«مَسْكِن» مثل مسجد، خارجٌ عن القياس، ولا يوجد مثلُه إلَّا سماعاً.

﴿ءَايَةٌ﴾ اسمُ كان، أي: علامةٌ دالَّة على قدرة الله تعالى على أنَّ لهم خالقاً خَلَقَهم، وأنَّ كلَّ الخلائقِ لو اجتمعوا على أن يُخرجوا من الخشبة ثمرةً لم يمكنهم ذلك، ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناسِ الثمار وألوانها وطُعومها وروائحها وأزهارها، وفي ذلك ما يدلُّ على أنَّها لا تكون إلَّا من عالِمٍ قادِر.

﴿جَنَّتَانِ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من «آية»، ويجوز أن يكون خبرَ ابتداءٍ محذوفٍ، فيوقَفُ على هذا الوجه على «آية» وليس بتمام[٥]. قال الزجَّاج[٦]: أي: الآيةُ جَنَّتان،

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص ٥٢٨، والتيسير ص ١٨٠.

(٢) السبعة ص ٥٢٨، والتيسير ص ١٨٠ عن حمزة وحفص. وإبراهيم هو النخعي، وذكرها عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٩.

(٣) السبعة ص ٥٢٨، والتيسير ص ١٨٠ عن الكسائي. وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٩ عن يحيى (وهو ابن وثاب) والأعمش.

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٩.

(٥) وهو وقف حسن كما ذكر الأشموني في منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ص ٢٢٦.

(٦) في معاني القرآن ٤/ ٢٤٨.

فجنتان رفع لأنه خبرُ ابتداءٍ محذوفٍ. وقال الفرَّاء: رُفع تفسيراً للآية[١]، ويجوز أن تنصب «آية» على أنَّها خبرُ كان، ويجوز أن تنصب الجنتين على الخبر أيضاً في غير القرآن[٢].

قال عبد الرحمن بن زيد: إنَّ الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم أنَّهم لم يَرَوا فيها بعوضةً قطُّ، ولا ذباباً ولا بُرغُوثاً ولا قملةً ولا عقرباً ولا حيةً، ولا غيرَها من الهوامّ، وإذا جاءهم الرَّكْبُ في ثيابهم القملُ والدوابُّ، فإذا نظروا إلى بيوتهم ماتت الدواب[٣].

وقيل: إنَّ الآية هي الجنتان، كانت المرأة تمشي فيهما وعلى رأسها مِكْتَلٌ، فيمتلئُ من أنواع الفواكه من غير أن تمسَّها بيدها؛ قاله قتادة[٤].

وروي أنَّ الجنتين كانتا بين جبلين باليمن. قال سفيان: وُجد فيهما قصران مكتوبٌ على أحدهما: نحن بنينا سَلْحِين[٥] في سبعين خريفاً دائبين، وعلى الآخَر مكتوبٌ: نحن بَنَينا صِرْواح، مَقِيل ومَراح، فكانت إحدى الجنتين عن يمين الوادي والأخرى عن شماله.

قال القشيريُّ: ولم يُرِدْ جنتين اثنتين، بل أراد من الجهتين يَمنةً ويَسرةً، أي:

---

(١) أي على البدل منها، كما ذكره عنه الألوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٢٥ ، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣٥٨ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٨ .

(٣) أخرجه مطولاً الطبري ١٩/ ٢٤٧ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٠ ، والطبري ٩/ ٢٤٧ . والمِكْتل: الزَّبيل الكبير، قيل: إنه يسع خمسة عشر صاعاً، كأن فيه كتلاً من التمر. النهاية (كتل).

(٥) في (د): سايحين، وفي (خ) و(ظ): سالحين، وسقط هذا الموضع من (ز). ووقع في مطبوع النكت والعيون ٤/ ٤٤٣ (والكلام منه): سالمين. والمثبت من (م) وهو موافق لما ذكره ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٢٣٥ وقال: سلحين بفتح أوله وسكون ثانيه ثم حاء مهملة مكسورة ... ، حصن عظيم بأرض اليمن.

كانت بلادهم ذاتَ بساتين وأشجارٍ وثمار، تستتر الناس بظلالها.

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي: قيل لهم: كلوا، ولم يكن ثَمَّ أمرٌ، ولكنَّهم تمكَّنوا من تلك النعم. وقيل: أي قالت الرسل لهم: قد أباح الله تعالى لكم ذلك، أي: أباح لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة. ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي: من ثمار الجنتين ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ يعني على ما رزقكم.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ هذا كلامٌ مستأنَفٌ، أي: هذه بلدةٌ طيبةٌ، أي: كثيرةُ الثمار. وقيل: غيرُ سَبْخةٍ. وقيل: طيبةٌ ليس فيها هوامٌّ لطيبِ هوائها. قال مجاهد: هي صنعاء[1].

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي: والمنعِمُ بها عليكم ربٌّ غفورٌ يَسْتُر ذنوبَكم، فجمع لهم بين مغفرةِ ذنوبهم وطيبِ بلدِهم، ولم يجمع ذلك لجميع خَلْقِه. وقيل: إنَّما ذكر المغفرة مشيراً إلى أنَّ الرزق قد يكون فيه حرام. وقد مضى القول في هذا في أوّل «البقرة»[2]. وقيل: إنَّما امتَنَّ عليهم بعَفْوِه عن عذابِ الاستئصالِ بتكذيب مَن كذَّبوه من سالِفِ الأنبياء، إلى أن استداموا الإصرارَ فاستوْصِلوا.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ يعني عن أمره واتِّباعِ رسله بعد أن كانوا مسلمين. قال السُّدِّيُّ ووهبٌ: بعث إلى أهل سبأ ثلاثةَ عَشَرَ نبيًّا فكذَّبوهم. قال القُشيريُّ: وكان لهم رئيس يلقَّب بالحمار، وكانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم. وقيل: كان له ولدٌ فمات، فرفع رأسه إلى السماء فبزق وكفر، ولهذا يقال: أَكْفَرُ مِن حِمار. وقال الجوهريّ[3]: وقولُهم: أَكْفَرُ من حِمار، هو رجلٌ من عادٍ؛

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٤٤.

(٢) ١/ ٢٧٢.

(٣) في الصحاح (حمر).

مات له أولادٌ، فكفر كفراً عظيماً، فلا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلَّا دعاه إلى الكفر، فإن أجابه وإلَّا قتله.

ثم لمَّا سال السيلُ بجنَّتيهم تفرَّقوا في البلاد، على ما يأتي بيانُه، ولهذا قيل في المثل: «تفرَّقوا أيادي سَبَا»[١]. وقيل: الأَوْسُ والخزرجُ منهم. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ والعرِمُ فيما روي عن ابن عباس: السَّدُّ[٢]، فالتقدير: سَيلَ السَّدِّ العَرِم. وقال عطاء: العَرِمُ اسمُ الوادي[٣].

قتادة: العرمُ وادي سبأ؛ كانت تجتمع إليه مَسَايلُ من الأودية، قيل: من البحر وأوديةِ اليمن، فردَموا رَدْمًا بين جبلين، وجعلوا في ذلك الرَّدْمِ ثلاثةَ أبوابٍ؛ بعضُها فوقَ بعضٍ، فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قَدْرِ حاجاتهم؛ فأَخْصَبوا وكَثُرت أموالُهم، فلمَّا كذَّبوا الرسل سلَّط الله عليهم الفأر فنقب الردم[٤].

قال وَهْب: كانوا يزعمون أنهم يجدون في علمهم وكهانتهم أنه يخرِّبُ سدَّهم فأرةٌ، فلم يتركوا فُرجةً بين صخرتين إلَّا ربطوا إلى جانبها هرَّةً، فلمَّا جاء ما أراد الله تعالى بهم أقبلت فأرةٌ حمراءُ إلى بعض تلك الهِرَرِ فساوَرَتْها حتى استأخرتْ عن الصخرة، ثم وثبت ودخلت في الفرجة التي كانت عندها، ونقبت السَّدَّ حتى أَوْهَنته للسيل وهم لا يدرون، فلمَّا جاء السيل دخل تلك الخللَ حتى بلغ السدَّ، وفاض الماء على أموالهم، فغرَّقها ودفن بيوتَهم[٥].

وقال الزجَّاج[٦]: العَرِمُ اسمُ الجُرَذ الذي نَقَبَ السِّكْرَ عليهم، وهو الذي يقال له:

---

(١) أي: تفرَّقوا تفرُّقاً لا اجتماع بعده. مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٧٥ . وسيأتي ص٣٠٢ من هذا الجزء.

(٢) لم نقف عليه عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ١٩/ ٢٥١ عن مجاهد.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٠٦ .

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ١٩/ ٢٥١ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٩١ دون نسبة .

(٥) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٥٢ - ٢٥٣ . والخبر من الإسرائيليات.

(٦) في معاني القرآن ٤/ ٢٤٨ .

الخُلد ـ وقاله قتادةُ أيضًا[١] ـ فنُسب السيلُ إليه لأنه بسببه. وقد قال ابن الأعرابيِّ أيضاً: العَرِم من أسماء الفأر[٢].

وقال مجاهد وابن أبي نَجيح: العَرِمُ ماءٌ أحمرُ أرسله الله تعالى في السَّدِّ، فشقَّه وهدمه[٣].

وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ العَرِمَ المطرُ الشديد. وقيل: العَرْم بسكون الراء. وعن الضحَّاك كانوا في الفترة بين عيسى ومحمدٍ عليهما السلام[٤].

وقال عمرو بن شُرَحْبيل: العَرِمُ المُسَنَّاة[٥]. وقاله الجوهريُّ[٦]؛ قال: ولا واحدَ لها من لفظها، ويقال: واحدُها عَرِمة.

وقال محمد بن يزيد: العَرِم كلُّ شيء حاجزٍ بين شيئين، وهو الذي يسمَّى: السِّكْر، وهو جَمعُ عَرِمة. النحَّاس[٧]: وما يجتمع من مطرٍ بين جبلين وفي وجهه مُسَنَّاةٌ فهو العَرِم، والمُسَنَّاةُ هي التي يسمِّيها أهلُ مصرَ الجسر[٨]، فكانوا يفتحونها إذا

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٥٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ٣٩١ .

(٣) علقه البخاري كما في الفتح ٨/ ٥٣٥ عن مجاهد بأطول منه، ووصله الفريابي كما في تغليق التعليق ٤/ ٢٨٨ من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وتتمته: وحَفَرَ الوادي، فارتفعتا عن الجَنْبَتَيْنِ، وغاب عنهما الماء، فيبستا، ولم يكن الماء الأحمر من السدّ، ولكن كان عذاباً أرسله الله عليهم من حيث شاء. اهـ وذكر الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض أنه في رواية: فَبَقَقَهُ، بدل: فشقَّه؛ قال: وهو الوجه، تقول: بثقتُ النهر: إذا كسرتَه لتصرفه عن مجراه.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٨٥ ؛ إلا أنه ذكر قول ابن عباس دون نسبة، وذكره دون نسبة كذلك النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٠٧ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤١٤ . وأخرج الطبري ١٩/ ٢٥٢ عن ابن عباس قال: سيل العرم: الشديد.

(٥) علقه البخاري أيضاً كما في الفتح ٨/ ٥٣٥ . قال الحافظ: قال ابن التين: المراد بالمسناة ما يبنى في عرض الوادي ليرتفع السيل ويفيض على الأرض.

(٦) في الصحاح (عرم).

(٧) في إعراب القرآن ٣/ ٣٣٨ ، وما قبله منه، وقول محمد بن يزيد بنحوه في الكامل ٣/ ١٢١٤ .

(٨) في (د) و(ظ): الحبس. والحِبس: حجارة أو خشب تبنى في مجرى الماء لتحبسه، كي يشرب القوم ويسقوا أموالهم. اللسان (حبس).

شاؤوا، فإذا رَوِيَتْ جنَّاتهم سدُّوها.

قال الهَرَويُّ: المُسَنَّاة: الضفيرة تُبنَى للسيل تردُّه، سمِّيت مسنَّاةً لأن فيها مفاتحُ الماء، ورُوي أنَّ العَرِمَ سدٌّ بَنَتْه بِلْقِيسُ صاحبةُ سليمانَ عليه الصلاة والسلام، وهو المسنَّاةُ بلغة حِمير، بَنَتْه بالصَّخْر والقارِ، وجعلت له أبواباً ثلاثةً بعضُها فوق بعض، وهو مشتقٌّ من العَرامة وهي الشدَّة، ومنه: رجلٌ عارم، أي: شديد. وعَرَمْتُ العظمَ أَعْرِمُه وأعرُمه عَرْماً: إذا عَرَقْتَه[1]، وكذلك عَرَمت الإبلُ الشجرَ، أي: نالت منه. والعُرام بالضم: العُرَاق من العَظْمِ والشجر. وتعرَّمتُ العَظْمَ: تَعرَّقته. وصبيٌّ عارِمٌ بَيِّنُ العُرام ـ بالضم ـ أي: شَرِس. وقد عَرَم يَعْرُم ويَعْرِم عَرَامةً ـ بالفتح ـ، والعَرِم: العارم؛ عن الجوهريّ[2].

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وقرأ أبو عمرو: ﴿أُكُلِ خَمْطٍ﴾ بغير تنوينٍ مضافاً[3]. قال أهلُ التفسير والخليلُ: الخَمْطُ: الأراك[4]. الجوهري[5]: الخَمْطُ ضَرْبٌ من الأراك له حَمْلٌ يؤكل. وقال أبو عبيدة[6]: هو كلُّ شجرٍ ذي شوكٍ فيه مرارةٌ. الزجاج[7]: كلُّ نبتٍ فيه مرارةٌ لا يمكنُ أكلُه.

المبرِّد: الخمطُ: كلُّ ما تغيَّر إلى ما لا يُشتَهَى، واللبنُ خَمْطٌ إذا حَمُض. والأوْلى عنده في القراءة: ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ بالتنوين على أنه نعتٌ لـ «أُكُلٍ»، أو بَدَلٌ منه؛ لأنَّ الأُكُلَ هو الخمطُ بعينه عنده. فأمَّا الإضافةُ فبابُ جوازِها أن يكون تقديرُها:

---

(١) عرق العظم: أكل ما عليه من اللحم. القاموس (عرق).

(٢) في الصحاح (عرم).

(٣) السبعة ص ٥٢٨ ، والتيسير ص ١٨٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٣٩ .

(٥) في الصحاح (خمط).

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ١٤٧ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٠٨ .

(٧) في معاني القرآن ٤/ ٢٤٩ .

ذواتي أُكُلٍ حموضةٍ، أو أُكُلٍ مرارة[١]. وقال الأخفش: والإضافةُ أحسنُ في كلام العرب، نحو قولهم: ثوبُ خَزٍّ[٢].

والخمط [من] اللبن: الحامض. وذكر أبو عبيد: أنَّ اللبن إذا ذهب عنه حلاوةُ الحلَبِ ولم يتغيَّر طعمُه فهو سامِط، وإن أخذ شيئاً من الريح فهو خامِطٌ وخَمِيط، فإن أخذ شيئاً من طعمٍ فهو مُمَحَّل، فإذا كان فيه طعمُ الحلاوة فهو قُوهة[٣].

وتَخمَّط الفحل: هَدَر. وتَخمَّط فلانٌ، أي: تغضَّب وتكبَّر. وتخمَّط البحر، أي: الْتَطَم. وخَمَطْتُ الشاةَ أَخْمِطُها خَمْطًا: إذا نزعتَ جلدَها وشويتَها، فهي [خَميطٌ، فإن نزعتَ شعرها وشويتَها فهي] سَميطٌ. والخَمْطة: الخمرُ التي قد أَخذتْ رِيح الإدراك كريحِ التُّفاح ولم تُدْرِك بعدُ. ويقال: هي الحامِضة؛ قاله الجوهريُّ[٤]. وقال القُتَبيُّ في «أدب الكاتب»: يقال للحامضة: خَمْطة، ويقال: الخَمْطةُ التي قد أخذت شيئًا من الريح، وأنشد:

عُقَارٌ كماءِ النِّيْءِ ليستْ بخَمْطَةٍ ولا خَلَّةٍ يَكْوي الشُّروبَ شِهابُها[٥]

﴿وَأَثْلٍ﴾ قال الفرَّاء: هو شبيهٌ بالطَّرْفاء، إلَّا أنه أعظمُ منه طولاً[٦]، ومنه اتُّخذ

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٠.

(٢) الحجة للفارسي ٦/ ١٥.

(٣) في النسخ عدا (ظ): فوهة، والمثبت من (ظ)، وهو موافق لما في الغريب المصنف لأبي عبيد ١/ ٩٥، والصحاح (خمط)، والكلام وما سلف بين حاصرتين منه. قال صاحب اللسان (قوه): ورواه الليث: قُوهة بالفاء، وهو تصحيف. اهـ والقُوهة: اللبن إذا تغير طعمه قليلاً وفيه حلاوة الحلب. الصحاح (قوه).

(٤) في الصحاح (خمط)، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) أدب الكاتب ص ١٦٧، والبيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوان الهذليين ص ٧٢. يقول: هي في لون ماء اللحم النِّيء، وليست كالخمطة التي لم تدرك بعد، ولا كالخَلَّة التي جاوزت القِدر حتى كادت تصبح خلًّا. اللسان (خلل). وقال شارح الديوان: قوله: يكوي الشُّروب، يقول: لها مضٌّ شديد مثل النار. والشروب: النَّدامَى.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٩.

مِنبَرُ النبيِّ ﷺ[١]. وللأَثْل أصولٌ غليظةٌ يتَّخذُ منه الأبواب، وورقُه كورق الطَّرْفاء، الواحدةُ: أَثْلَة، والجمع: أثلات.

وقال الحسن: الأَثْلُ: الخشب. قتادة: هو ضَرْبٌ من الخشب يشبه الطَّرْفاءَ رأيتُه بفَيْد[٢]. وقيل: هو السَّمُر[٣].

وقال أبو عبيدة: هو شجر النُّضَار[٤]. النُّضار: الذهب. والنُّضار: خشبٌ يعمل منه قِصَاعٌ، ومنه: قَدَحٌ نُضَار[٥].

﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ قال الفَرَّاء: هو السَّمُر؛ ذكره النحاس[٦]. وقال الأزهريُّ[٧]: السِّدْر من الشجر سِدران: بَرِّيٌّ لا يُنتفع به ولا يصلح وَرَقُه للغَسُول، وله ثمرٌ عَفِصٌ لا يؤكل، وهو الذي يسمَّى الضَّال. والثاني: سِدْرٌ ينبتُ على الماء وثمرُه النَّبْق، وورقُه غَسولٌ يشبه شجر العُنَّاب.

قال قتادة: بينما شجرُ القوم من خيرِ شجرٍ إذ صيَّره الله تعالى من شرِّ الشجر بأعمالهم[٨]. فأهلك أشجارهم المثمرةَ وأَنبتَ بدلها الأراك والطَّرْفاء والسِّدْر.

القُشَيْريُّ: وأشجارُ البوادي لا تسمَّى جنةً وبستاناً، ولكنْ لمَّا وقعت الثانيةُ في

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨٠٠) مختصراً، والبخاري (٣٧٧)، ومسلم (٣٤٤) مطولاً من حديث سهل بن سعد ﷺ. ولفظه عنه أحمد: كان من أثل الغابة، يعني منبر النبيِّ ﷺ. ووقع عند مسلم: ... من طَرْفاءِ الغابة.

(٢) فيد: بليدةٌ في نصف طريق مكة من الكوفة. معجم البلدان ٤/ ٢٨٢ .

(٣) جمع سَمُرة بضم الميم: من شجر الطَّلْح. اللسان (سمر).

(٤) النُّضَار: أَثْلٌ وَرْسيُّ اللون بغور الحجاز. المعجم الوسيط (نضر) .

(٥) من قوله: النُّضار الذهب، إلى هذا الموضع ليس في (د) و(ظ). وقوله: قدح نُضار، قال الجوهري في الصحاح (نضر): يضاف ولا يضاف.

(٦) في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٠ ، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٩ .

(٧) في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٣ .

(٨) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٥٨ .

مُقابَلةِ الأولى أطلق لفظ الجنة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]. ويَحتمِلُ أن يرجع قولُه: «قَلِيلٍ» إلى جملةِ ما ذُكر من الخَمْط والأَثْل والسِّدْر.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ أي: هذا التبديلُ جزاءُ كُفْرِهم. وموضعُ «ذلك» نصبٌ، أي: جزيناهم ذلك بكفرهم. ﴿وهل يُجَازَى إلَّا الكَفُورُ﴾ قراءةُ العامة: «يُجَازَى» بياءٍ مضمومة وزايٍ مفتوحة، «الكَفورُ» رفعًا على ما لم يُسمَّ فاعلُه. وقرأ يعقوبُ وحَفْصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: «نُجازِي» بالنون وكسرِ الزاي، «الكفورَ» بالنصب[١]، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قالا: لأنَّ قبله: «جَزَيناهم» ولم يقل: جُوزُوا. النحاس[٢]: والأمرُ في هذا واسعٌ، والمعنى فيه بيِّن، ولو قال قائل: خَلَقَ الله تعالى آدمَ ﷺ من طين، وقال آخر: خُلق آدمُ من طين، لكان المعنى واحداً.

مسألة: في هذه الآيةِ سؤالٌ ليس في هذه السورة أشدُّ منه، وهو أن يقال: لم خصَّ الله تعالى المجازاةَ بالكَفور، ولم يذكر أصحابَ المعاصي؟ فتكلَّم العلماء في هذا؛ فقال قومٌ: ليس يُجازَى بهذا الجزاء الذي هو الاصطلامُ والإهلاك إلَّا مَن كفر[٣]. وقال مجاهد: يجازَى بمعنى: يعاقَب[٤]، وذلك أن المؤمن يكفِّر الله تعالى عنه سيئاته، والكافر يجازَى بكلِّ سوءٍ عَمِلَه؛ فالمؤمنُ يُجْزَى ولا يُجازَى لأنه يثاب. وقال طاوس: هو المناقشةُ في الحساب[٥]، وأمَّا المؤمنُ فلا يناقش الحساب.

وقال قُطْرُب خلافَ هذا، فجعلها في أهل المعاصي غير الكفار، وقال: المعنى:

---

(١) السبعة ص ٥٢٨ ، والتيسير ص ١٨١ ، والنشر ٢/ ٣٥٠ .

(٢) في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٠ ، وقوله: الاصطلام، أي: الاستئصال. الصحاح (صلم).

(٤) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٥٩ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٢٩ .

على مَن كَفَر بالنعم وعَمِلَ بالكبائر. النحاس[١]: وأَوْلَى ما قيل في هذه الآيةِ وأَجَلُّ ما رُوِيَ فيها: أنَّ الحسن قال: مِثْلاً بِمِثْلٍ. وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن حُوسِبَ هَلَك» فقلتُ: يا نبيَّ الله، فأين قولُه جلّ وعزّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨]؟ قال: «إنَّما ذلك العَرْضُ، ومَن نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ»[٢]. وهذا إسنادٌ صحيح، وشَرْحُه: أنَّ الكافر يُكافأ على أعماله ويحاسَبُ عليها ويحبط ما عَمِلَ من خير؛ ويبيِّن هذا قولُه تعالى في الأوّل: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ وفي الثاني: ﴿وهل يُجَازَى إِلَّا الكَفُورُ﴾ ومعنى «يُجَازَى»: يكافأ بكلِّ عَمَلٍ عَمِله، ومعنى «جَزَيْنَاهم»: وفَّيناهم، فهذا حقيقةُ اللغة، وإن كان «جازى» يقع بمعنى «جَزَى» مَجازاً[٣].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ قال الحسن: يعني بين اليمن والشام[٤]. والقُرَى التي بورك فيها: الشامُ والأُرْدُنُّ وفِلَسْطين. والبركة: قيل: إنَّها كانت أربعةَ آلافٍ وسبعَ مئة قريةٍ؛ بورك فيها بالشجر والثمر والماء. ويَحتَمِلُ أن يكون: بارَكْنَا فيها بكثرة العدد[٥].

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ قال ابن عباس: يريد بين المدينة والشام[٦]. وقال قتادة: معنى «ظَاهِرَةً»: متَّصلةً على الطريق، يغدون فيَقِيلون في قرية، ويروحون فيبيتون في قرية[٧].

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٠، وما قبله منه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٢٠٠)، والبخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤١.

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤١٠.

(٥) النكت والعيون ٤/ ٤٤٤.

(٦) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٦٢.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٠.

وقيل: كان على كلِّ مِيلٍ قريةٌ بسوق، وهو سببُ أَمْنِ الطريق.

قال الحسن: كانت المرأة تخرج ومعها مِغْزَلُها وعلى رأسها مِكْتَلُها، ثم تَلْتهي بمغزلها فلا تأتي بيتَها حتى يمتلئ مِكْتَلها من كلِّ الثمار، فكان ما بين الشام واليمن كذلك[١].

وقيل: «ظَاهِرَةً» أي: مرتفعةً؛ قاله المبرِّد[٢]. وقيل: إنما قيل لها: «ظَاهِرَةً» لظهورها، أي: إذا خرجْتَ عن هذه ظَهَرتْ لك الأخرى، فكانت قرًى ظاهِرةً، أي: معروفة، يقال: هذا أمرٌ ظاهِر، أي: معروف.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلنا السيرَ بين قُراهم وبين القرى التي باركنا فيها سَيْرًا مقدَّراً من منزلٍ إلى منزلٍ، ومن قريةٍ إلى قرية. الفراء[٣] أي: جعلنا بين كلِّ قريتين نصفَ يوم، حتى يكون المقيلُ في قرية والمبيتُ في قرية أخرى. وإنَّما يبالغ الإنسان في السير لعُدْمِ الزادِ والماء ولخوف الطريق، فإذا وجد الزادَ والأمنَ لم يحمل على نفسه المشقَّةَ ونزل أينما أراد.

﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ أي: وقلنا لهم: سيروا فيها، أي: في هذه المسافة، فهو أمرُ تمكين، أي: كانوا يسيرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا آمنين، فهو أمرٌ بمعنى الخبر، وفيه إضمارُ القول.

﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾ ظَرْفان ﴿ءَامِنِينَ﴾ نصب على الحال. وقال: «لياليَ وأيَّامًا» بلفظِ النكرة تنبيهاً على قِصَر أسفارهم، أي: كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون إليه. قال قتادةُ: كانوا يسيرون غيرَ خائفين ولا جِيَاعٍ ولا ظِماءٍ[٤]. وكانوا

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٣٣ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وهو في تفسير الطبري ١٩/ ٦٢ ، دون قوله: فكان بين الشام واليمن كذلك.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤١ .

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٢٥٩ . وقوله: الفراء، ليس في (د) و(م).

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤١١ ، وأخرجه مطولاً عبد الرزاق ٢/ ١٣٠ .

يسيرون مسيرةَ أربعةِ أشهرٍ في أمانٍ لا يحرِّكُ بعضُهم بعضاً، ولو لقي الرجلُ قاتِلَ أبيه لم يحرِّكه[١].

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ لمَّا بَطِروا وطغَوْا وسئموا الراحةَ ولم يصبروا على العافية، تَمنَّوْا طولَ الأسفارِ والكَدْحَ في المعيشة، كقول بني إسرائيل: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا﴾ الآية [البقرة: ٦١]. وكالنضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فأجابه الله تبارك وتعالى، وقُتل يومَ بدرٍ بالسيف صَبْرًا. فكذلك هؤلاء تبدَّدوا في الدنيا ومُزِّقوا كلَّ مُمَزَّق، وجُعل بينهم وبين الشام فَلَواتٍ ومَفَاوِزَ يركبون فيها الرَّوَاحلَ ويتزوَّدون الأَزْوادَ.

وقراءةُ العامَّةِ: ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على أنه نداءٌ مضاف، وهو منصوبٌ لأنه مفعولٌ به؛ لأنَّ معناه: نادَيْتُ ودعَوْت[٢]. ﴿بَاعِدْ﴾ سألوا المباعَدةَ في أسفارهم. وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ محيْصِنٍ وهشامٌ عن ابن عامر: ﴿رَبَّنَا﴾ كذلك على الدعاء ﴿بعِّد﴾ من التبعيد[٣]. النحاس[٤]: وباعِدْ وبعِّدْ واحدٌ في المعنى، كما تقول: قارِبْ وقَرِّبْ.

وقرأ أبو صالح ومحمد ابن الحنفية وأبو العالية ونصر بن عاصم ويعقوب، ويُروى عن ابن عباس: ﴿رَبُّنا﴾ رفعاً ﴿باعَدَ﴾ بفتح العين والدال على الخبر[٥]،

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٤٤٥ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٢ .

(٣) السبعة ص ٥٢٩ ، والتيسير ص ١٨١ عن ابن كثير وأبي عمرو وهشام.

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٢ .

(٥) النشر ٢/ ٣٥٠ عن يعقوب، وهو من العشرة. والمحتسب ٢/ ١٨٩ عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وأبي صالح ويعقوب وأبي رجاء وسلام والحسن ـ بخلاف ـ وابن أبي ليلى والكلبي.

تقديره: لقد باعَدَ ربُّنا بين أسفارنا، كأنَّ الله تعالى يقول: قَرَّبْنا لهم أسفارَهم فقالوا أَشَرًا وَبَطَرًا: لقد بُوعِدَتْ علينا أسفارُنا. واختار هذه القراءةَ أبو حاتم قال: لأنَّهم ما طلبوا التبعيدَ إنَّما طلبوا أقربَ من ذلك القربِ بَطَرًا وعُجْبًا مع كفرهم.

وقرأ يحيى بن يَعْمر وعيسى بن عمر؛ وتُروى عن ابن عباس: «ربُّنا بَعَّدَ بينَ أسفارِنَا» بشدِّ العين من غير ألف، وفسَّرها ابن عباس قال: شَكَوْا أنَّ ربَّهم باعَدَ بين أسفارهم[١].

وقراءةُ سعيد بن أبي الحسن أخي الحسن البصريِّ: «ربَّنا بَعُدَ بَيْنُ أسفارِنَا»، «رَبَّنَا» نداءٌ مضاف، ثم أخبروا بعد ذلك فقالوا: «بَعُدْ بينُ أَسْفَارِنَا»، ورُفع «بينُ» بالفعل، أي: بعُدَ ما يتَّصلُ بأسفارنا[٢].

وروى الفرَّاء وأبو إسحاقَ قراءةً سادسةً مثلَ التي قبلَها في ضمِّ العين إلَّا أنَّك تنصبُ «بينَ» على أنه ظرفٌ، وتقديره في العربية: بَعُدَ سيرُنا بينَ أسفارِنا. النحاس[٣]: وهذه القراءاتُ إذا اختلفت معانيها لم يَجُزْ أن يقال: إحداها أجودُ من الأخرى، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها، ولكنْ خبَّر عنهم أنهم دَعَوْا ربَّهم أن يبعِّد بين أسفارهم بَطَرًا وَأَشَرًا، وخبَّر عنهم أنهم لمَّا فعل ذلك بهم خبَّروا به وشَكَوْا، كما قال ابن عباس.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بكفرهم ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يُتحدَّث بأخبارهم، وتقديرُه في العربية: ذوي أحاديث. ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: لمَّا لَحِقَهم ما لَحِقَهُم تَفرَّقوا وتَمزَّقوا. قال الشعبيُّ: فلحقت الأنصارُ بيَثْرِبَ، وغسَّان بالشام، والأَسْدُ

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٢ ، والقراءة في المحتسب ٢/ ١٨٩ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٢ ، والقراءة في المحتسب ٢/ ١٨٩ .

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٢ - ٣٤٣ ، وما قبله منه. والقراءة في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠ ، وللزجاج ٤/ ٢٥٠ . (وهو أبو إسحاق).

بعُمَان، وخُزاعةُ بتِهامة[١]، وكانت العرب تضربُ بهم المثلَ فتقول: تفرَّقوا أيدي سبا، وأيادي سبا، أي: مذاهبَ سبأ وطرقَها[٢].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ الصبَّار: الذي يصبرُ عن المعاصي، وهو تكثيرُ صابرٍ، تمدح بهذا الاسم. فإنْ أردتَ أنه صَبَر عن المعصية لم يُستعمل فيه إلَّا صبَّار عن كذا. ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمه؛ وقد مضى هذا المعنى في «البقرة»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فيه أربعُ قراءات: قرأ أبو جعفر وشيبةُ ونافع وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر، ويروى عن مجاهد: ﴿ولقد صَدَقَ عليهم﴾ بالتخفيف ﴿إِبْلِيسُ﴾ بالرفع ﴿ظَنَّهُ﴾ بالنصب[٤]، أي: في ظنِّه. قال الزجَّاج: وهو على المصدر، أي: صَدَقَ عليهم ظنًّا ظنَّه إذ صَدَق في ظنِّه[٥]. فنُصب على المصدر أو على الظَّرف.

وقال أبو عليٍّ: «ظنَّه» نصب لأنه مفعولٌ به، أي: صَدَق الظنَّ الذي ظنَّه؛ إذ قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] وقال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢][٦]. ويجوزُ تعديةُ الصدق إلى المفعول به؛ ويقال: صَدَقَ الحديثَ، أي: في الحديث.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٠ والطبري ١٩/ ٢٦٧ ، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٣ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤١٠ ، وسلف ٢٩٢ من هذا الجزء.

(٣) ٢/ ٦٥ و١٠٤ .

(٤) السبعة ص ٥٢٩ ، والتيسير ص ١٨١ ، والنشر ٢/ ٣٥٠ . والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٣ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥١ - ٢٥٢ ، وفيه: وصدق في ظنه، بدل: إذ صدق ... ، والمعنى على هذا التأويل : أنه ظن بهم أنه إذا أغواهم اتبعوه، فوجدهم كذلك . حجة القراءات لابن زنجلة ص٥٨٩ .

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٠ .

وقرأ ابن عباس ويحيى بن وثَّاب والأعمش وعاصم وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد ﴿ظَنَّهُ﴾ بالنصب[١] بوقوع الفعل عليه. قال مجاهد: ظنَّ ظنًّا، فكان كما ظنَّ، فصدَّق ظنَّه[٢].

وقرأ جعفر بن محمد وأبو الهجهاج: «صَدَقَ عليهم» بالتخفيف «إبليسَ» بالنصب «ظنُّه» بالرفع. قال أبو حاتم: لا وجهَ لهذه القراءةِ عندي، والله تعالى أعلم. وقد أجاز هذه القراءةَ الفرَّاءُ، وذكرها الزجاج، وجَعَلَ الظنَّ فاعلَ «صَدَق» و«إبليسَ» مفعولاً به، والمعنى: أنَّ إبليس سوَّل له ظنُّه فيهم شيئاً، فصدَق ظنُّه، فكأنه قال: ولقد صدَق عليهم ظنُّ إبليسَ[٣].

و«على» متعلِّقةٌ بـ «صدق»، كما تقول: صدقتُ عليك فيما ظَنَنْتُهُ بك، ولا تتعلَّق بالظنِّ لاستحالة تقدُّم شيءٍ من الصلة على الموصول[٤].

والقراءةُ الرابعة: «ولقد صَدَقَ عليهم إبليسُ ظنُّه» برفعِ إبليس والظنّ، مع التخفيف في «صَدَقَ» على أن يكون «ظنُّه» بدلاً من «إبليس»، وهو بدلُ الاشتمال[٥].

ثم قيل: هذا في أهل سبأ، أي: كَفَروا وغيَّروا وبدَّلوا بعد أن كانوا مسلمين، إلَّا قوماً منهم آمنوا برسلهم. وقيل: هذا عامٌّ، أي: صدق إبليسُ ظنَّه على الناس كلِّهم إلَّا مَن أطاع الله تعالى؛ قاله مجاهد[٦].

وقال الحسن: لمَّا أُهبط آدمُ عليه السلام من الجنة ومعه حوَّاءُ وهبط إبليس، قال

---

(١) السبعة ص ٥٢٩ ، والتيسير ص ١٨١ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٣ ، وأخرج الطبري ١٩/ ٢٧٠ قول مجاهد بلفظ: ظنَّ ظنًّا، فاتَّبعوا ظنَّه.

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٠ ، وللزجاج ٤/ ٢٥٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٣ ، والقراءة في المحتسب ٢/ ١٩١ عن أبي الهجهاج والزهري.

(٤) المحتسب ٢/ ١٩١ .

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤١٧ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٢٩ .

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٢٣٥ .

إبليس: أمَا إذ أَصَبْتُ من الأبوين ما أَصَبْتُ فالذرِّيةُ أَضعفُ وأَضْعفُ! فكان ذلك ظنًّا من إبليس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾[١].

وقال ابن عباس: إنَّ إبليس قال: خُلقتُ من نارٍ، وخُلق آدمُ من طينٍ، والنارُ تُحرِقُ كلَّ شيءٍ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] فصدَّق ظنَّه عليهم[٢].

وقال زيد بن أسلمَ: إنَّ إبليس قال: يا ربّ، أرأيتَ هؤلاء الذين كرَّمتهم وشرَّفتهم وفضَّلتهم عليَّ، لا تَجدُ أكثرهم شاكرين، ظنًّا منه، فصدَّق عليه إبليس ظنَّه[٣].

وقال الكلبيُّ: إنَّه ظنَّ أنَّه إنْ أَغْواهُم أجابوه، وإن أضلَّهم أطاعوه، فصدق ظنه[٤].

﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ قال الحسن: ما ضَرَبَهم بسوطٍ ولا بِعصاً، وإنَّما ظنَّ ظنًّا، فكان كما ظنَّ بوسوسته[٥].

﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ نصب على الاستثناء، وفيه قولان: أحدُهما: أنه يراد به بعضُ المؤمنين؛ لأنَّ كثيرًا من المؤمنينَ مَن يُذْنبُ وينقادُ لإبليسَ في بعض المعاصي، أي: ما سَلِمَ من المؤمنين أيضًا إلَّا فريقٌ، وهو المعنيُّ[٦] بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]. فأمَّا ابنُ عباسٍ فعنه أنه قال: هم المؤمنون كلُّهم[٧]، فـ «من» على هذا للتبيين لا للتبعيض.

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٤٤٧ ، وأخرجه مطولاً ابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٤٧ ، وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٢٣٤ .

(٣) النكت والعيون ٤/ ٤٤٧ ، وأخرجه بنحوه الطبري ١٩/ ٢٧٠ .

(٤) النكت والعيون ٤/ ٤٤٧ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٤ ، وأخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ١٣٠ ، والطبري ١٩/ ٢٧١ .

(٦) في (ظ): وهم المعنيون.

(٧) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٢٣٤ .

فإن قيل: كيف عَلِمَ إبليسُ صِدْقَ ظنِّه وهو لا يَعْلَمُ الغيبَ؟

قيل له: لمَّا نَفَذَ له في آدمَ ما نَفَذَ، غَلَبَ على ظنِّه أنه يَنْفُذُ له مثلُ ذلك في ذرِّيَّته، وقد وقع له تحقيقُ ما ظنّ.

وجوابٌ آخَرُ: وهو ما[1] أجيبَ به من قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] فأُعطيَ القوةَ والاستطاعة، فظنَّ أنَّه يملكهم كلَّهم بذلك، فلمَّا رأى أنه تاب على آدمَ، وأنه سيكون له نسلٌ يتبعونه إلى الجنة، وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] علم[2] أنَّ له تَبَعًا ولآدمَ تبعًا، فظنَّ أنَّ تَبَعَه أكثرُ من تَبَع آدم؛ لمَا وُضع في يديه من سلطان الشهوات، ووضعت الشهواتُ في أجواف الآدميين، فخرج على ما ظنَّ حيث نفخ فيهم وزيَّن في أعينهم تلك الشهوات، ومدَّهم إليها بالأماني والخدائع، فصدق عليهم الظن الذي ظنَّه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: لم يَقْهَرْهم إبليسُ على الكفر، وإنَّما كان منه الدعاءُ والتزيين. والسلطان: القوة، وقيل: الحُجَّة، أي: لم تكن له حُجَّةٌ يَستَتْبِعُهُم بها، وإنَّما اتَّبعوه بشهوةٍ وتقليدٍ وهَوَى نَفْسٍ، لا عن حجةٍ ودليل.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يريد علمَ الشهادة الذي يقع به الثوابُ والعقاب، فأمَّا الغيبُ فقد عَلِمَه تبارك وتعالى. ومذهبُ الفرَّاء[3] أنْ يكون المعنى: إلَّا لنعلم ذلك عندكم، كما قال: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [فصلت: ٤٧] أي: على قولكم[4] وعندكم.

---

(١) قبلها في (د) و(ظ): أن.

(٢) في النسخ الخطية: فعلم، والمثبت من (م).

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٣٦٠ - ٣٦١، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٤.

(٤) في (ظ): زعمكم.

وليس قولُه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ جوابَ ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ في ظاهره، إنَّما هو محمولٌ على المعنى، أي: وما جعلنا له عليهم سلطاناً إلَّا لنَعْلَمَ، فالاستثناء مُنْقَطِعٌ، أي: لا سلطانَ له عليهم ولكنَّا ابتليناهم بوسوسته لنَعْلَم، فـ «إلَّا» بمعنى لكنْ.

وقيل: هو متَّصلٌ، أي: ما كان له عليهم من سلطانٍ، غيرَ أنَّا سلَّطناه عليهم ليتمَّ الابتلاء.

وقيل: «كان» زائدة، أي: ومالَه عليهم من سلطان، كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أي: أنتم خيرُ أمَّة.

وقيل: لمَّا اتَّصل طرفٌ منه بقصةِ سبأ قال: وما كان لإبليسَ على أولئك الكفار من سلطان.

وقيل: وما كان له في قضائنا السابقِ سلطانٌ عليهم.

وقيل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: إلَّا لنُظْهِر[1]، وهو كما تقول: النارُ تُحرِقُ الحطبَ، فيقول آخَر: لا بل الحطبُ يُحرق النار. فيقول الأول: تعالَ حتى نجرِّب النارَ والحطب لنَعْلَم أيهما يُحرِقُ صاحبه، أي: لنُظهِر ذلك، وإن كان معلوماً لهم ذلك.

وقيل: إلَّا لتعلموا أنتم. وقيل[2]: أي: ليعلم أولياؤنا والملائكةُ، كقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣] أي: يحاربون أولياءَ الله ورسوله.

وقيل: أي: لنميز، كقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وقد مضى هذا المعنى في «البقرة»[3] وغيرها.

وقرأ الزُّهريُّ: «إلَّا لِيُعْلَمَ»، على ما لم يسمَّ فاعلُه[4].

---

(١) في (ظ): ليظهر (في الموضعين).

(٢) قبلها في (د): وقيل أي ليعلم على ما لم يسم فاعله. وهي قراءة كما سيرد.

(٣) ٢/ ٤٣٨.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٢٢، والمحتسب ٢/ ١٢١، والكشاف ٣/ ٢٨٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٧.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي: إنه عالمٌ بكلِّ شيء. وقيل: يحفظ كلَّ شيء على العبد حتى يجازيَه عليه.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: هذا الذي مضى ذِكْرُهُ من أمر داودَ وسليمانَ وقصةِ سبأ من آثارِ قُدْرَتي، فقُلْ يا محمدُ لهؤلاء المشركين: هل عند شُرَكائِكم قدرةٌ على شيءٍ من ذلك. وهذا خطابُ توبيخٍ، وفيه إضمارٌ، أي: ادعوا الذين زعمتُم أنَّهم آلهةٌ لكم من دون الله لِتَنْفعَكم، أو لتدفع عنكم ما قضاه الله تبارك وتعالى عليكم، فإنهم لا يملكون ذلك[1]، و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ أي: ما لله مِن هؤلاء مِن مُعينٍ على خَلْقِ شيء، بل الله المنفردُ بالإيجاد، فهو الذي يُعبَد، وعبادةُ غيرِهِ مُحال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أي: شفاعةُ الملائكةِ وغيرِهم ﴿عِندَهُۥٓ﴾ أي: عندَ الله ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ قراءةُ العامة: ﴿أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة؛ لذكر الله تعالى أولاً. وقرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيّ: ﴿أُذِنَ﴾ بضمِّ الهمزةِ على ما لم يسمَّ فاعلُه[2]. والآذِنُ هو الله تعالى. و«مَن» يجوز أن ترجع إلى الشافِعِينَ، ويجوز أن ترجع إلى المشفوع لهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: جُلِّي[3] عن قلوبهم الفزعُ. قُطْرُب:

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٥.

(٢) السبعة ص ٥٢٩، والتيسير ص ١٨١.

(٣) في (د) و(م): خلي، ولفظة: الفزع (الآتية) ليست في (ظ).

أُخرجَ ما فيها من الخوف. مجاهد: كُشِفَ عن قلوبهم الغطاءُ يومَ القيامة[١]. أي: إنَّ الشفاعة لا تكون من أحدٍ من هؤلاء المعبودِينَ من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلَّا أنَّ الله تعالى يأذنُ للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غايةِ الفزع من الله، كما قال: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

والمعنى: أنه إذا أَذِنَ لهم في الشفاعة ووَرَدَ عليهم كلامُ الله فَزِعوا؛ لِمَا يقترن بتلك الحالِ من الأمر الهائل والخوفِ أن يقع في تنفيذ ما أَذِنَ لهم فيه تقصيرٌ، فإذا سُرِّيَ عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يُوْرِدون عليهم الوحيَ بالإذن: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أي: ماذا أمر الله به؟ فيقولون لهم: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ وهو أنْ أَذِنَ لكم في الشفاعة للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فله أن يحكُم في عباده بما يريد. ثم يجوز أن يكون هذا إذناً لهم في الدنيا في شفاعة أقوام، ويجوز أن يكون في الآخرة.

وفي الكلام إضمارٌ، أي: ولا تنفع الشفاعةُ عنده إلَّا لمن أَذِنَ له، ففَزِعَ لِمَا ورد عليه من الإذن تهيُّبًا لكلامِ الله تعالى، حتى إذا ذهب الفزعُ عن قلوبهم أجاب بالانقياد.

وقيل: هذا الفزعُ يكون اليومَ للملائكة في كلِّ أمرٍ يأمرُ به الربُّ تعالى، أي: لا تنفع الشفاعةُ إلَّا مِن الملائكة الذين هم اليومَ فَزِعون مُطيعون لِله تعالى، دون الجماداتِ والشياطين. وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا قضى الله في السماء أمرًا ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعانًا لقوله، كأنها[٢] سلسلةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحقَّ وهو العليُّ الكبير، قال: والشياطينُ بعضُهم فوقَ بعض» قال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[٣].

---

(١) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤/٤٤٨، وأخرج قول ابن عباس ومجاهد الطبري ١٩/٢٧٥.

(٢) في (ظ): كأنه، وهو موافق لرواية البخاري على ما يأتي.

(٣) سنن الترمذي (٣٢٢٣)، وأخرجه البخاري (٤٨٠٠) مطولاً. قوله: خضعاناً بفتحتين، وفي رواية: =

وقال النوَّاس بن سمعان: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله إذا أراد أن يُوحيَ بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السماوات منه رَجْفةٌ ـ أو [قال:] رِعْدةٌ ـ شديدةٌ خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع أهلُ السماوات ذلك صَعِقوا، وخَرُّوا لله تعالى سُجَّدًا، فيكونُ أولَ مَن يَرْفَعُ رأسَه جبريل، فيكلِّمه الله تعالى ويقول له من وحْيه ما أراد، ثم يمرُّ جبريل بالملائكة، كلَّما مرَّ بسماءٍ سأله ملائكتُها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير، قال: فيقولُ كلُّهم كما قال جبريلُ فينتهي جبريلُ بالوحي حيث أَمَرَه الله تعالى»[1].

وذكر البيهقيُّ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال: كان لكلِّ قبيلٍ من الجنِّ مقعدٌ من السماء يستمعون منه الوحي، وكان إذا نزل الوحيُ سُمع له صوتٌ كإمرارِ السلسلةِ على الصَّفْوان، فلا ينزل على أهل سماءٍ إلَّا صَعِقوا، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العليُّ الكبير، ثم يقول: يكون العامَ كذا ويكون كذا. فتسمعه الجنُّ فيخبرون به الكهنة فتقول الكهنةُ للناس: يكون العامَ كذا وكذا، فيجدونه كذلك، فلمَّا بعث الله محمداً ﷺ دُحروا بالشُّهب، فقالت العرب حين لم تُخْبِرهم الجنُّ بذلك: هَلَكَ مَن في السماء، فجعل صاحب الإبل يَنحرُ كلَّ يومٍ بعيراً، وصاحبُ البقر ينحر كلَّ يومٍ بقرةً، وصاحبُ الغنم ينحر كلَّ يومٍ شاةً، حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثَقيف وكانت أَعْقَل العرب: أيها الناس، أَمْسِكوا على أموالكم، فإنَّه لم يَمُتْ مَن في السماء، وإنَّ هذا ليس بانتثار، ألستُم تَرَوْنَ

= بضم أوله وسكون ثانيه، وهو مصدر بمعنى خاضعين. قوله: كأنه (وهي رواية البخاري)، أي: الصوت المسموع مثل جر السلسلة من الحديد، على الصفوان الذي هو الحجر الأملس. ينظر الفتح ٨/ ٥٣٨ ، وتحفة الأحوذي ٩/ ٩٠ .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٥)، وابن خزيمة في التوحيد ص ١٤٤ ، والطبري ١٩/ ٢٧٨ ، والآجري في الشريعة ص ٢٩٤ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٣٥)، وما بين حاصرتين من المصادر. وفي إسناده نعيم بن حماد، قال الحافظ في التقريب: صدوق يخطئ كثيراً. وذكر أبو زرعة الدمشقي في تاريخه ١/ ٦٢١ أنه عرض هذا الحديث على عبد الرحمن بن إبراهيم (وهو دحيم) فقال: لا أصل له.

مَعالِمَكم من النجوم كما هي، والشمسَ والقمرَ والليلَ والنهار؟! قال: فقال إبليس: لقد حدث اليومَ في الأرض حَدَث، فائتوني مِن تربةِ كلِّ أرضٍ، فأَتَوْه بها فجعل يَشَمُّها، فلمَّا شمَّ تربةَ مكةَ قال: مِن ها هنا جاء الحَدَث، فنصتوا فإذا رسولُ الله ﷺ قد بُعث[١]. وقد مضى هذا المعنى مرفوعاً مختصراً في سورة الحجر[٢]، ومضى القولُ أيضاً في رَمْيِهم بالشهب وإحراقِهم بها، ويأتي في سورة الجنِّ[٣] بيانُ ذلك إن شاء الله تعالى.

وقيل: إنَّما يفزعون من قيام الساعة.

وقال الكلبيُّ وكعب: كان بين عيسى ومحمدٍ عليهما السلام فَتْرةٌ، خمسُ مئةٍ وخمسون سنةً لا يَجيءُ فيها الرسل، فلمَّا بعث الله تعالى محمداً ﷺ كلَّم الله تعالى جبريلَ بالرسالة، فلمَّا سمعت الملائكةُ الكلامَ ظنُّوا أنَّها الساعةُ قد قامت، فصَعِقوا ممَّا سمعوا، فلمَّا انحدر جبريلُ عليه السلام جعل يمرُّ بكلِّ سماءٍ فيكشفُ عنهم، فيرفعون رؤوسَهم ويقول بعضُهم لبعضٍ: ماذا قال ربكم؟ فلم يَدْروا ما قال، ولكنهم قالوا: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير، وذلك أنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام عند أهل السماوات من أشراط الساعة[٤].

وقال الضحاك: إنَّ الملائكةَ المعقِّباتِ الذين يختلفون إلى أهل الأرض يكتبون أعمالهم، يرسلهم الربُّ تبارك وتعالى، فإذا انحدروا سُمع لهم صوتٌ شديدٌ، فيحسبُ الذين هم أسفلُ من الملائكة أنه من أمر الساعة، فَيَخِرُّون سُجَّداً ويصعقون،

---

(١) لم نقف عليه عند البيهقي، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٥٢٦ - ٥٢٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٣٦ وعزاه للبيهقي وابن أبي شيبة وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل. وهو من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعطاء بن السائب اختلط، وفي سماع حماد بن سلمة منه قبل الاختلاط أو بعده خلاف.

(٢) ١٢/ ١٩٠ .

(٣) عند تفسير الآية (٩) منها.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٥٥٧ عن مقاتل والكلبي والسدي.

حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة[١].

وهذا تنبيهٌ من الله تعالى وإخبارٌ أنَّ الملائكة مع اصطفائهم ورِفْعَتِهِم لا يُمكِنُهم[٢] أنْ يَشْفَعوا لأحدٍ حتى يؤذنَ لهم، فإذا أُذن لهم وسَمعوا صَعِقوا وكانت هذه حالُهم، فكيف تشفع الأصنامُ، أو كيف تؤمِّلون أنتم الشفاعةَ ولا تعترفون بالقيامة.

وقال الحسن وابن زيد ومجاهد: حتى إذا كُشفَ الفزع عن قلوب المشركين عند[٣] نزول الموت، إقامةً للحجة عليهم قالت الملائكة لهم: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فأَقرُّوا حين لا ينفعهم الإقرار[٤]، أي: قالوا: قال الحق.

وقراءةُ العامة: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾. وقرأ ابن عباس: ﴿فَزَّعَ عن قلوبهم﴾ مسمَّى الفاعل[٥]، وفاعلُه ضميرٌ يَرجِعُ إلى اسم الله تعالى. ومَن بناه للمفعول فالجارُّ والمجرورُ في موضعِ رفعٍ، والفعلُ في المعنى لله تبارك وتعالى. والمعنى في القراءتين: أُزيل الفزعُ عن قلوبِهِم، حَسْبَمَا تقدَّم بيانُه[٦]. ومثله: أَشْكَاه: إذا أَزالَ عنه ما يشكُوه.

وقرأ الحسن: «فُزِع» مثلَ قراءةِ العامة، إلَّا أنه خفَّفَ الزاي، والجارُّ والمجرورُ

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٨١ بنحوه من طريق الضحاك عن ابن مسعود ﷺ.

(٢) في (م): لا يمكن.

(٣) قبلها في (د) و(ظ) و(م): قال الحسن ومجاهد وابن زيد في الآخرة، وسقط هذا الموضع من (خ) و(ز)، والمثبت من تفسير البغوي ٣/ ٥٥٧، والكلام منه.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٥٥٧ - ٥٥٨، إلا أنه لم يذكر مجاهداً، وأخرجه عن ابن زيد الطبري ١٩/ ٢٨١. ولم نقف عليه عن مجاهد.

(٥) قرأ: «فزَّع» بفتح الفاء والزاي ابن عامر من السبعة، والباقون بضم الفاء وكسر الزاي. السبعة ص٥٣٠، والتيسير ص ١٨١. وذكرها عن ابن عباس النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٥ وزاد نسبتها لابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد.

(٦) ص٣٠٧-٣٠٨ من هذا الجزء.

في موضع رفعٍ أيضاً، وهو كقولك: انْصُرِفَ عن كذا إلى كذا. وكذا معنى «فُرِغَ» بالراء والغَيْنِ المعجَمَةِ والتخفيفِ غير مسمَّى الفاعل، رُويت عن الحسن أيضاً وقتادة[1]. وعنهما أيضًا «فَرِغَ» بالراء والغين المعجمة مسمَّى الفاعل، والمعنى: فَرِغَ الله تعالى قلوبَهم، أي: كَشَفَ عنها، أي: فَرغَها من الفزع والخوف، وإلى ذلك يَرجعُ البناء للمفعول على هذه القراءة. وعن الحسن أيضاً «فرّغ» بالتشديد[2].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ لمَّا ذكر أنَّ آلهتهم لا يملكون مثقالَ ذرةٍ ممَّا يَقدِرُ عليه الربُّ، قرَّر ذلك فقال: قُلْ يا محمدُ للمشركين: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ أي: مَن يخلقُ لكم هذه الأرزاقَ الكائنةَ من السماوات، أي: عن المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع. «وَالْأَرْضِ» أي: الخارجة من الأرض، عن الماء والنبات. أي: لا يمكنُهم أن يقولوا: هذا فِعْلُ آلهتنا. فيقولون: لا ندري. فقل: إنَّ الله يفعل ذلك، الذي يعلم ما في نفوسكم. وإن قالوا: اللهُ يرزقنا، فقد تقرَّرت الحجة بأنه الذي ينبغي أن يُعبد.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هذا على وجهِ الإنصاف في الحُجَّة، كما يقول القائل: أحدُنا كاذب، وهو يعلم أنه صادقٌ، وأنَّ صاحبه كاذب. والمعنى: ما نحن وأنتم على أمرٍ واحد، بل على أمرين متَضادَّين، وأحدُ الفريقين مهتدٍ وهو نحن، والآخَرُ ضالٌّ وهو أنتم. فكذَّبهم بأَحْسَنَ من تصريح التكذيب، والمعنى: أنتم الضالُّون حين أشركْتُم بالذي يرزقكم من السماوات والأرض.

---

(١) المحتسب ٢/ ١٩١ - ١٩٢.

(٢) يعني بضم الفاء وبفتحها، ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٥ - ٣٤٦، والمحتسب ٢/ ١٩١-١٩٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١٩، والدر المصون ٩/ ١٨٢.

«أو إياكم» معطوفٌ على اسم «إنَّ»، ولو عُطِفَ على الموضع لكان: «أو أنتم» ويكون «لَعلَى هُدًى» للأول لا غير. وإذا قلت: «أو إيَّاكُمْ» كان للثاني أوْلى، وحَذَفْتَ من الأول، ويجوز أن يكون للأول، وهو اختيارُ المبرِّد. قال: ومعناه معنى قولِ المستَبْصِرِ لصاحبه على صحة الوعيدِ والاستظهارِ بالحجة الواضحة: أحدُنا كاذب، وقد عرف المعنى، كما تقول: أنا أَفْعَلُ كذا وتَفْعَلُ أنت كذا وأحدُنا مخطئ، وقد عرف أنه هو المخطئ، وهكذا: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]. و«أو» عند البَصْريين على بابها وليست للشك، لكنَّها على ما تستعملُه العرب في مثل هذا إذا لم يُرِد المخبِرُ أنْ يبين وهو عالمٌ بالمعنى. وقال أبو عبيدةَ والفرَّاءُ: هي بمعنى الواو، وتقديره: وإنا على هدى وإياكم في ضلال مبين[2]، وقال جرير:

أثعلبةَ الفوارسَ أو رياحاً ... عدلْتَ بهم طُهَيَّةَ والرَّبَابا[3]

يعني: أثعلبة ورياحاً. وقال آخر:

فلمَّا اشتدَّ أمرُ الحربِ فينا ... تأمَّلْنا رياحاً أو رِزاما[4]

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أي: اكتَسَبْنَا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ﴾ نحن أيضاً

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٤٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٢، ونقله الفراء عن المفسرين وقال: وهو في المعنى كذلك، غير أن العربية على غير ذلك؛ لا تكون أو بمنزلة الواو. وكذلك قال الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٥٣، قال: وهذا في اللغة غير جائز، ولكنه في التفسير يَؤول إلى هذا المعنى. قال الفراء: والمعنى في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾: إنا لضالون أو مهتدون، وإنكم لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي، وأن غيره الضال. وهذا كما تقول للرجل: إن أحدنا لكاذب، فكذبته تكذيباً غير مكشوف.

(٣) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ٢/ ٨١٤، والكتاب ١/ ١٠٢ و٣/ ١٨٣، ومجاز القرآن ٢/ ١٤٨، والخزانة ١١/ ٦٩. ووقع فيها جميعاً: والخِشّابا، بدل: والربابا. قال البغدادي: أي: عدلتَ هاتين القبيلتين بهاتين القبيلتين!.

(٤) لم نقف عليه.

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: إنَّما أقصدُ بما أدعوكم إليه الخيرَ لكم، لا أنَّه ينالُني ضررُ كُفْرِكم، وهذا كما قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] واللهُ مُجازي الجميع. فهذه آيةُ مُهَادَنَةٍ ومُتَارَكَةٍ، وهي منسوخةٌ بالسيف. وقيل: نزل هذا قبل آيةِ السيف.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يريد يومَ القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يقضي، فيثيبُ المهتدي ويعاقب الضالَّ ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ أي: القاضي بالحقِّ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوال الخَلْق. وهذا كلُّه منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾ يكون «أَرُوني» هنا من رؤية القلب، فيكون «شركاءَ» المفعولَ الثالث، أي: عرِّفوني هذه الأصنامَ والأوثانَ التي جعلتموها شركاءَ لِلهِ عز وجل، هل شارَكَتْ في خَلْقِ شيء، فبيِّنوا ما هو؟ وإلَّا فَلِمَ تَعبُدونها؟ ويجوز أن يكونَ من رؤية البصر، فيكونُ «شركاءَ» حالاً[1].

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعمتم. وقيل: إنَّ «كلَّا» ردٌّ لجوابهم المحذوفِ، كأنه قال: أَرُوني الذين ألحقتُم به شركاء. قالوا: هي الأصنامُ. فقال: كلَّا، أي: ليس له شركاء ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: وما أرسلناك

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٧.

إلَّا للناس كافةً، أي: عامَّةً، ففي الكلام تقديمٌ وتأخير. وقال الزجَّاج: أي: وما أرسلناك إلَّا جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ[١]. والكافةُ بمعنى الجامع.

وقيل: معناه: كافًّا للناس، تَكفُّهم عمَّا هم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام. والهاءُ للمبالغة. وقيل: أي: إلَّا ذا كافَّةٍ، فحذف المضاف، أي: ذا منعٍ للناس من أن يَشِذُّوا عن تبليغك، أو ذا منعٍ لهم من الكفر، ومنه: كفَّ الثوبَ؛ لأنَّه ضمَّ طرفيه.

﴿بَشِيرًا﴾ أي: بالجنة لمَن أطاع. ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار لِمَن كَفَر. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عندَ الله، وهم المشركون، وكانوا في ذلك الوقتِ أكثرَ من المؤمنين عدداً.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. فقال الله تعالى: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ فلا يغرَّنَّكم تأخيرُه. والميعادُ: الميقات. ويعني بهذا الميعادِ وقتَ البعث. وقيل: وقتَ حضورِ الموت، أي: لكم قبلَ يومِ القيامة وقتٌ معيَّنٌ تموتون فيه، فتعلمون حقيقةَ قولي.

وقيل: أراد بهذا اليوم يومَ بدر؛ لأنَّ ذلك اليومَ كان ميعادَ عذابِهم في الدنيا في حُكْمِ الله تعالى.

وأجاز النحويون: «ميعادٌ يومٌ» على أن يكون «ميعادٌ» ابتداءً، و«يومٌ» بدلاً منه، والخبر: «لكم». وأجازوا «ميعادٌ يوماً» يكون ظرفاً، وتكون الهاء في «عنه» ترجع إلى «يوم». ولا يصح: «ميعادٌ يومَ لا تستأخرون» بغير تنوين وإضافة «يومَ» إلى ما بعده؛ إذا قدَّرتَ الهاء عائدةً على اليوم؛ لأنَّ ذلك يكون من إضافة الشيء إلى نفسه من أَجْلِ الهاء التي في الجملة. ويجوز ذلك على أن تكون الهاءُ للميعاد لا لليوم[٢].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٤ ، وتعقبه أبو حيان في البحر ٧/ ٢٨١ بأنَّ «كفَّ» ليس بمحفوظ أنَّ معناه: جمع. والمحفوظ في معناه: منع، والمعنى: إلا مانعاً لهم من الكفر. وينظر الدر المصون ٩/ ١٨٥ .

(٢) بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٨ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٨٨ ، وقال السمين في الدر =

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يريد كفارَ قريش ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ قال سعيدٌ عن قتادة: «ولا بالذي بين يديه» من الكتب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1]. وقيل: من [أمر] الآخرة. وقال ابن جُريج: قائلُ ذلك أبو جهل بن هشام[2].

وقيل: إنَّ أهلَ الكتاب قالوا للمشركين: صفةُ محمدٍ في كتابنا فَسَلُوه، فلمَّا سألوه فوافَقَ ما قال أهلُ الكتاب، قال المشركون: لن نؤمنَ بهذا القرآنِ ولا بالذي قبلَه من التوراة والإنجيل، بل نكفرُ بالجميع، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهلَ الكتاب ويَحتجُّون بقولهم، فظَهَر بهذا تَناقضُهم وقلةُ عِلْمِهم.

ثم أخبر الله تبارك وتعالى عن حالهم في مآلهم[3]، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمدُ ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: محبوسون في موقف الحساب، يتراجعون الكلامَ فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا أَخِلَّاءَ متناصِرين. وجوابُ «لو» محذوفٌ، أي: لرأيتَ أمراً هائلاً فظيعاً.

= المصون ٩/ ١٨٩ : نصُّوا على أن الظرف إذا أضيف إلى جملة لم يَعُد منها إليه ضمير إلا في ضرورة. وقد قرئ بجميع ما سلف من وجوه. ينظر الكشاف ٣/ ٢٩٠ ، والبحر ٧/ ٢٨٢ .

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٥١ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في (د) و(م): فيما لهم.

ثم ذَكَر أيَّ شيءٍ يرجع من القول بينهم فقال: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ في الدنيا من الكافرين ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ وهم القادةُ والرؤساء: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: أَغْوَيْتُمونا وأَضْلَلْتُمونا. واللغةُ الفصيحة: «لولا أنتم»، ومن العرب مَن يقول: «لولاكم» حكاها سيبويه؛ تكون «لولا» تَخْفضُ المضمَرَ، ويرتفع المُظْهَرُ بعدها بالابتداء ويُحذف خبره. ومحمد بن يزيد يقول: لا يجوزُ «لولاكم»؛ لأنَّ المضمَر عَقيبُ المُظْهَرِ، فلمَّا كان المظهرُ مرفوعاً بالإجماع، وجب أن يكون المضمَرُ أيضاً مرفوعاً[1].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ هو استفهامٌ بمعنى الإنكار، أي: ما رَدَدْناكم نحن عن الهدى، ولا أكرهناكم. ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين مصرِّين على الكفر.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المكرُ أصلُه في كلام العرب: الاحتيالُ والخديعة. وقد مَكَرَ به يَمكُرُ، فهو ماكر ومَكَّار. قال الأخفش[2]: هو على تقدير: هذا مَكْرُ الليل والنهار. قال النحاس[3]: والمعنى ـ والله أعلم ـ: بل مكرُكم في الليل والنهار، أي: مُسَارَّتكم إيانا ودعاؤكم لنا إلى الكفر حَمَلَنا على هذا.

وقال سفيان الثوري: بل عملُكم في الليل والنهار. قتادة: بل مكرُكم بالليل والنهار صدَّنا[4]. فأُضيفَ المكر إليهما لوقوعه فيهما، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]، فأضاف الأَجَلَ إلى نفسه، ثم قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤] إذ كان الأجل لهم. وهذا من قَبِيلِ قولك: ليلُه قائمٌ ونهارُه صائم. قال المبرِّد: أي: بل مكرُكم الليل والنهار، كما تقول العرب: نهارُه

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٨. وقول سيبويه في الكتاب ٢/ ٣٧٣.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٦٦٣.

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٩.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٢، دون قوله: صدنا.

صائمٌ وليلُه قائمٌ، وأنشد لجرير:

لقد لُمْتِنَا يا أمَّ غَيْلانَ في السُّرَى ونمتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائمِ[١]

وأنشد سيبويه:

فنام ليلي وتجلَّى همِّي[٢]

أي: نمتُ فيه. ونظيره: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧].

وقرأ قتادة: «بل مَكْرٌ الليلَ والنهارَ» بتنوين «مكر» ونصبِ «الليلَ والنهار»، والتقدير: بل مكرٌ كائنٌ في الليل والنهار، فحذف[٣].

وقرأ سعيد بن جبير: «بل مَكَرُّ» بفتح الكاف وشدِّ الراء بمعنى الكرور، وارتفاعُه بالابتداء والخبرُ محذوفٌ. ويجوز أن يرتفع بفعلٍ مُضْمَرٍ دلَّ عليه: «أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ»، كأنَّهم لمَّا قالوا لهم: أنحن صددناكم عن الهدى؟! قالوا: بل صدَّنا مَكَرُّ الليلِ والنهار[٤].

وروي عن سعيد بن جبير: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قال: مرّ الليل والنهار عليهم فغفلوا[٥]. وقيل: غرَّهم[٦] طولُ السلامة فيهما كقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد: ١٦].

---

(١) ديوان جرير بشرح ابن حبيب ٢/ ٩٩٣، وسلف ١١/ ٢٠، وهو في الكتاب ١/ ١٦٠، والمقتضب ٤/ ٣٣١ وفيه قول المبرد بنحوه، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٩ وعنه نقل المصنف.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٩، ولم نقف عليه في الكتاب، والرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص١٤٢، والمقتضب ٤/ ٣٣١.

(٣) المحتسب ٢/ ١٩٣ - ١٩٤. قال ابن جني: وإن شئت علقتهما بنفس «مكر»، كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤-١٥].

(٤) المحتسب ٢/ ١٩٣ - ١٩٤. قال ابن جني: المَكَرُّ والكرور: اختلاف الأوقات. وذكر القراءة أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٢٢.

(٥) أخرجه الطبري ١٩/ ٢٩٢، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٩.

(٦) قوله: غرَّهم، من (ظ).

وقرأ راشد: «بل مَكَرَّ الليل والنهار» بالنصب، كما تقول: رأيته مَقْدَمَ الحاجِّ، وإنَّما يجوز هذا فيما يُعرفُ؛ ولو قلتَ: رأيتُه مَقْدَمَ زيد، لم يَجز؛ ذكره النحاس[١].

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي: أشباهاً وأمثالاً ونُظَراءَ. قال محمد بن يزيد: ندُّ فلانٍ فلان[٢]؟، أي: مثلُه. ويقال: نَدِيد، وأنشد:

أَتَيْماً تجعلون إليَّ نِدًّا ... وما تَيْمٌ لذي حَسَبٍ نَديدُ[٣]

وقد مضى هذا في «البقرة»[٤].

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي: أَظْهَرُوها، وهو من الأضداد؛ يكون بمعنى الإخفاءِ والإبداء؛ قال امرؤ القيس:

تجاوزتُ أَحْراساً وأهوالَ مَعْشرٍ ... عَليَّ حِرَاصٍ لو يُسِرُّون مَقْتَلِي[٥]

ويروى: «يُشِرُّون»[٦].

وقيل: «وأَسَرُّوا النَّدامَةَ» أي: تَبَيَّنت الندامةُ في أسرار وجوههم. وقيل: الندامةُ لا تظهر، وإنَّما تكون في القلب، وإنَّما يظهر ما يتولَّد عنها[٧]، حَسْبَمَا تقدَّم بيانُه في سورة يونس، وآل عمران[٨].

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ٣٤٩ - ٣٥٠ ، وقراءة راشد في المحتسب ٢/ ١٩٣ - ١٩٤ ، والبحر ٧/ ٢٨٣ . قال أبو حيان: وراشد هذا من التابعين، ممن صحح المصاحف بأمر الحجاج. اهـ. وهو ابن نجيح الحِمَّانيُّ، أبو محمد البصري. التهذيب ١/ ٥٨٤ . وقد سلف ذكره ١/ ١٠٤ (حاشية).

(٢) في (م): فلان ند فلان.

(٣) البيت لجرير، وهو في ديوانه ١/ ٣٣١ ، وسلف ١١/ ٣٣٦ .

(٤) ١/ ٣٤٧ .

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٣ ، وفيه: يُشِرُّون، بدل: يسرُّون، وهما روايتان كما سيرد. ووقع في (م): حراصاً، وهو موافق لما في شرح المعلقات للنحاس ١/ ١٧ وللتبريزي ص ٣٧ ، وهو فيهما برواية:

تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً ... عليَّ حراصاً لو يُشِرُّون مقتلي

(٦) وهي رواية الديوان كما سلف، قال النحاس في شرح المعلقات ١/ ١٧ : مَن روى: يُسرُّون، فيجوز أن يكون معناه عنده: يكتمون، ويجوز معناه: يظهرون. أما يُشِرُّون فمعناه يظهرون لا غير.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٠ .

(٨) سلف في سورة الأعراف ٩/ ٣٣٥ ، وسورة يونس ١١/ ٨ ، ولم نقف عليه في سورة آل عمران.

وقيل: إظهارُهم الندامةَ قولُهم: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

وقيل: أسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها؛ كما قال: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ [الأنبياء: ٣].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الأغلالُ جمعُ غُلٍّ، يقال: في رقبته غُلٌّ من حديد. ومنه قيل للمرأة السيئةِ الخُلُق: غُلٌّ قَمِلٌ، وأصلُه: أنَّ الغُلَّ كان يكون من قِدٍّ[1] وعليه شعرٌ فيَقْمَلُ. وغَلَلتُ يده إلى عنقه، وقد غُلَّ فهو مغلول، يقال: مالَه أُلَّ وغُلَّ[2]. والغُلُّ أيضاً والغُلَّة: حرارةُ العطش، وكذلك الغليل؛ يقال منه: غُلَّ الرجلُ يُغَلُّ غَلَلًا فهو مغلول، على ما لم يسمَّ فاعله؛ عن الجوهريّ[3].

أي: جُعلت الجوامعُ في أعناق التابعين والمتبوعين. قيل: مِن غيرِ هؤلاء الفريقين. وقيل: يرجع «الذين كَفَرُوا» إليهم.

وقيل: تم الكلامُ عند قوله: ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾ بعد ذلك في أعناق سائر الكفار. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا؟

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ قال قتادة: أي:

---

(١) القِدُّ هو السَّيْرُ يُقَدُّ من جلدٍ غير مدبوغ، القاموس (قدد).

(٢) أُلَّ: دُفع في قفاه، وغُلَّ: وُضع الغُلُّ في يديه وعنقه، وهذا دعاء عليه. معجم متن اللغة (أل) و(غل).

(٣) في الصحاح: (غلل).

أغنياؤها ورؤساؤها وجبَابِرَتُها وقادةُ الشرِّ للرسل: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[١].

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ أي: فُضِّلنا عليكم بالأموال والأولاد، ولو لم يكن ربُّكم راضياً بما نحن عليه من الدِّين والفضل لم يخوِّلنا ذلك. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لأنَّ مَن أَحْسَنَ إليه فلا يُعذِّبُه. فردَّ الله عليهم قولَهم وما احتجُّوا به من الغِنَى فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يوسِّعُه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يقتِّر، أي: إنّ الله هو الذي يُفاضِلُ بين عبادِه في الأرزاق امتحاناً لهم، فلا يدلُّ شيءٌ من ذلك على ما في العواقب، فَسَعَةُ الرزق في الدنيا لا تدلُّ على سعادة الآخرة، فلا تظنُّوا أموالَكم وأولادكم تُغني عنكم غدًا شيئًا. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذا؛ لأنَّهم لا يتأمَّلون.

ثم قال تأكيداً: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ قال مجاهد: أي: قُرْبَى. والزُّلْفةُ: القُرْبة[٢].

وقال الأخفش[٣]: أي: إزلافاً، وهو اسمُ المصدر، فيكون موضعُ «قُرْبَى» نصبًا، كأنه قال: بالتي تقرِّبكم عندنا تقريباً.

وزعم الفراء أنَّ «التي» تكون للأموال والأولاد جميعاً. وله قولٌ آخَرُ ـ وهو مذهبُ أبي إسحاقَ الزجَّاج ـ يكون المعنى: وما أموالُكم بالتي تقرِّبكم عندنا زُلْفَى، ولا أولادكم بالتي تقرِّبكم عندنا زُلْفَى، ثم حذفَ خبر الأولِ لدلالة الثاني عليه، وأنشد الفراء:

نحن بما عندنا وأنتَ بما ... عندك راضٍ والرأيُ مختلِفُ[٤]

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٥٢ ، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٥١ .

(٢) النكت والعيون ٤/ ٢٩٧ . وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٩/ ٢٩٦ .

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٦٦٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥١ وعنه نقل المصنف قول الفراء والزجاج، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٢٥٥ . وسلف البيت ١٠/ ١٨٨ .

ويجوز في غير القرآن: باللَّتين وباللَّاتي وباللَّواتي وباللَّذَيْنِ، وباللَّذينَ للأولاد خاصة[١].

أي: لا تَزيدُكم الأموالُ عندنا رِفعةً ودرجةً، ولا تقرِّبكم تقريباً.

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال سعيد بن جبير: المعنى: إلَّا من آمَنَ وعَمِلَ صالحاً فلن يَضُرَّه مالُه وولدُه في الدنيا[٢]. وروى ليثٌ عن طاوسٍ أنه كان يقول: اللهمَّ ارزقني الإيمانَ والعمل، وجنِّبني المالَ والولد، فإنِّي سمعتُ فيما أوْحيتَ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[٣].

قلت: قولُ طاوسٍ فيه نظر، والمعنى والله أعلم: وجنِّبني المالَ والولدَ المُطْغِيَيْن، أو اللَّذَينِ لا خيرَ فيهما، فأمَّا المالُ الصالح والولدُ الصالح للرجل الصالحِ فنِعْمَ هذا! وقد مضى هذا في «آل عمران، ومريم، والفرقان»[٤].

و«مَن» في موضعِ نصبٍ على الاستثناء المنقطع، أي: لكنْ مَن آمَنَ وعمل صالحاً فإيمانُه وعملُه يقرِّبانِه منِّي. وزعم الزجَّاج أنه في موضع نصبٍ بالاستثناء على البدل من الكاف والميم التي في «تقرِّبكم». النحاس: وهذا القولُ غلطٌ؛ لأنَّ الكافَ والميمَ للمخاطَب، فلا يجوزُ البدلُ، ولو جاز هذا لجاز: رأيتُك زيداً. وقولُ أبي إسحاقَ هذا هو قولُ الفرَّاء، إلَّا أنَّ الفراء لا يقول: بدل، لأنَّه ليس من لفظِ الكوفيين، ولكنَّ قولَه يَؤولُ إلى ذلك، وزعم أنَّ مثله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩] يكون منصوباً عنده بـ «ينفع». وأجاز الفرَّاء أن يكون «مَن» في موضع رفعٍ بمعنى: ما هو إلَّا مَن آمَنَ، كذا قال: ولستُ أحصِّلُ معناه[٥].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٢ ، وبنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٥٥ .

(٢) أخرج نحوه الطبري ١٩/ ٢٩٧ عن ابن زيد، ولم نقف عليه عن سعيد بن جبير.

(٣) النكت والعيون ٤/ ٤٥٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٢٣٨ .

(٤) ٥/ ١١٠ و١٣/ ٤١٤ و١٥/ ٤٨٨ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٢ ، وقول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٥٥ ، وقول الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٦٣ .

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ يعني قولَه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالضِّعْفُ: الزيادة، أي: لهم جزاءُ التضعيف. وهو من باب إضافةِ المصدرِ إلى المفعول. وقيل: لهم جزاءُ الأضعاف، فالضِّعفُ في معنى الجمع. وإضافةُ الضعفِ إلى الجزاء كإضافة الشيء إلى نَفْسِه، نحو: حقّ اليقين، وصلاة الأُولى. أي: لهم الجزاءُ المضعَّف؛ للواحد عشرةٌ إلى ما يُريد اللهُ من الزِّيادة.

وبهذه الآية استدلَّ مَن فضَّل الغِنَى على الفقر. وقال محمد بن كعب: إنَّ المؤمن إذا كان غنيًّا تقيًّا آتاه الله أَجْرَه مرَّتين بهذه الآية[١]. ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾.

قراءةُ العامةِ: «جَزَاءُ الضِّعْفِ» بالإضافة. وقرأ الزُّهريُّ ويعقوبُ ونصر بن عاصم: «جزاءً» منوَّناً منصوباً «الضعفُ» رفعاً[٢]، أي: فأولئك لهم الضِّعفُ جزاءً، على التقديم والتأخير. «وَجَزَاءُ الضِّعْفَ» على أن يجازَوا الضعفَ. و«جزاءُ الضِّعفُ» مرفوعان، الضِّعفُ بدل من جزاء[٣].

وقَرأَ الجمهور أيضاً: ﴿فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ على الجمع، وهو اختيارُ أبي عبيد؛ لقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨]. الزمخشريُّ: وقرئ «في الغرفات» بضمِّ الراء وفَتْحِها وسكونها[٤].

وقرأ الأعمش ويحيى بن وَثَّاب وحمزةُ وخلف: ﴿في الغرفة﴾ على التوحيد[٥]؛ لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥]. والغرفةُ قد يُرادُ بها اسمُ

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٤٥٣ .

(٢) النشر ٢/ ٣٥١ . و«جزاءً» في هذه القراءة منصوب على الحال، كما ذكر أبو حيان في البحر ٧/ ٢٨٦ .

(٣) الكشاف ٣/ ٢٩٢ . وقراءة: «جزاءُ الضعفُ» ـ برفعهما ـ ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٢٢ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٢ عن قتادة. وقراءة: «جزاءً» بالرفع والتنوين «الضعفَ» بالنصب ذكرها الألوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٤٩ .

(٤) الكشاف ٣/ ٢٩٢ ، والقراءة بفتح الراء وسكونها في القراءات الشاذة ص ١٢٢ .

(٥) السبعة ص ٥٣٠ ، والتيسير ص ١٨١ عن حمزة. وأما قراءة خلف المشهورة عنه فكقراءة الجمهور.

الجمعِ واسم الجنس. قال ابن عباس: هي غرفٌ من ياقوتٍ وزبرجد ودُرٍّ. وقد مضى بيانُ ذلك[١].

﴿ءَامِنُونَ﴾ أي: من العذاب والموت والأسقام والأحزان. ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في إبطال أدلَّتِنا وحُجَجنا وكتابنا. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: معانِدين، يحسبون أنَّهم يفوتوننا بأنفسهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي: في جهنَّم؛ تُحضِرُهم الزبانيةُ فيها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ كرَّر تأكيدًا. ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي: قُلْ يا محمدُ لهؤلاء المغترِّين بالأموال والأولاد: إنَّ الله يوسِّع على مَن يشاء ويضيِّق على مَن يشاء، فلا تغترُّوا بالأموال والأولاد، بل أَنْفِقوها في طاعة الله، فإنَّ ما أنفقتُم في طاعة الله فهو يُخْلِفُه. وفيه إضمارٌ، أي: فهو يُخْلِفُه عليكم؛ يقال: أَخْلَفَ له وأَخْلَفَ عليه، أي: يعطيكم خَلَفَه وبَدَلَه، وذلك البَدَلُ إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرة.

وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن يومٍ يصبحُ العبادُ فيه إلَّا ومَلَكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، و[يقول الآخَر: اللهم] أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[٢].

وفيه أيضاً عن أبي هريرةَ، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله قال لي: أَنفِقْ أُنْفِقْ عليك...» الحديث[٣]. وهذه إشارةٌ إلى الخَلَف في الدنيا بِمثْلِ المنفَق فيها إذا كانت

---

(١) ينظر ١٠/ ٢٩٩ و١٥/ ٤٩١ . وخبر ابن عباس سيأتي عند تفسير الآية (٢٠) من سورة الزمر.

(٢) صحيح مسلم (١٠١٠)، وما بين حاصرتين منه، وهو عند أحمد (٨٠٥٤)، والبخاري (١٤٤٢).

(٣) صحيح مسلم (٩٩٣)، وهو عند أحمد (٧٢٩٨)، والبخاري (٤٦٨٤).

النفقةُ في طاعة الله. وقد لا يكون الخَلَفُ في الدنيا، فيكون كالدعاء ـ كما تقدَّم[١] ـ سواءً في الإجابة أو التكفير أو الادِّخار، والادِّخارُ ها هنا مثله في الأجر[٢].

مسألة: روى الدَّارقُطْنيُّ وأبو أحمد بنُ عَدِيٍّ عن عبد الحميد الهلاليِّ، عن محمد ابن المُنْكَدِر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ معروفٍ صدقةٌ، وما أَنْفقَ الرجلُ على نفسه وأهله كُتب له صدقة، وما وَقَى به الرجلُ عِرضَه فهو صدقةٌ، وما أَنْفَقَ الرجل من نفقةٍ فعَلَى الله خَلَفُها، إلَّا ما كان من نفقةٍ في بنيانٍ أو معصية». قال عبد الحميد: قلتُ لابن المنكدر: ما «وَقَى الرجلُ عِرضَه»؟ قال: يعطي الشاعرَ وذا اللسان[٣]. عبد الحميد وثَّقه ابن معين[٤].

قلت: أمَّا ما أنفق في معصيةٍ فلا خلافَ أنه غيرُ مثابٍ عليه ولا مخلوفٍ له. وأمَّا البنيانُ فما كان منه ضروريًّا يُكِنُّ الإنسانَ ويحفظُه، فذلك مخلوفٌ عليه ومأجورٌ ببنيانه، وذلك لِحِفْظِ[٥] بنيته وسترِ عورته؛ قال ﷺ: «ليس لابن آدمَ حقٌّ في سِوى هذه الخصالِ: بيتٍ يسكنُه، وثوبٍ يوارِي عورتَه، وجِلْفِ الخبز، والماء»[٦]. وقد مضى هذا المعنى في «الأعراف» مستوفًى[٧].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لمَّا كان يقال في الإنسان: إنَّه يَرْزُقُ عيالَه، والأمير جندَه، قال: «وهو خيرُ الرَّازِقِينَ» والرزاقُ من الخَلْقِ يَرزقُ، لكنَّ ذلك من

---

(١) ٣/ ١٨٠ .

(٢) في (ظ): الآخرة، وكذلك وقع في أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٥٩٢ ، والكلام فيه بنحوه.

(٣) سنن الدارقطني (٢٨٩٥)، والكامل ٥/ ١٩٥٩. وسلف ٩/ ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٤) الكامل ٥/ ١٩٥٨ ، وعبد الحميد هو ابن الحسن الهلالي، وقال فيه أبو حاتم: شيخ، وضعفه ابن المديني وأبو زرعة والدارقطني. ميزان الاعتدال ٢/ ٥٣٩ .

(٥) في (د) و(م): وكذلك كحفظ، وفي (خ): وذلك كحفظ.

(٦) أخرجه أحمد (٤٤٠)، والترمذي (٢٣٤١) من حديث عثمان ﷺ، وهو حديث لا يصح كما سلف الكلام ٥/ ٥٧ . قوله: جلف الخبز، أي: وحدَه ليس معه إدام، أو: الخبز الغليظ اليابس.

(٧) ٩/ ٢٦٧ - ٢٦٩ .

مالٍ يُملك عليهم ثم ينقطع، والله تعالى يَرزقُ من خزائنَ لا تفنَى ولا تتناهَى. ومَن أَخْرجَ من العدم إلى الوجود فهو الرَّازقُ على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نَحشرهم جميعاً﴾ هذا متَّصلٌ بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ [الآية: ٣١] أي: لو تَراهم في هذه الحالةِ لرأيتَ أمراً فظيعاً. والخطابُ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ هو وأمته. ثم قال: ولو تراهم أيضاً يومَ نَحْشرُهم جميعاً، العابِدِينَ والمعبودينَ، أي: نجمعهم للحساب ﴿ثُمَّ نَقُولُ[1] لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾. قال سعيد عن قتادة: هذا استفهامٌ، كقوله عزَّ وجلَّ لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] قال النحاس[2]: فالمعنى: أنَّ الملائكةَ صلواتُ الله عليهم إذا أكْذَبْتهم؛ كان في ذلك تبكيتٌ لهم، فهو استفهامُ توبيخٍ للعابِدين.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: أنت ربُّنا الذي نَتولَّاه ونطيعُه ونعبُده ونُخْلِصُ في العبادة له. ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي: يُطيعون إبليسَ وأعوانَه. وفي التفاسير[3]: أنَّ حَيًّا يقال لهم: بنو مُلَيح من خُزاعةَ؛ كانوا يعبدون الجنَّ، ويزعمون أنَّ الجنَّ تتراءى لهم، وأنَّهم ملائكةٌ، وأنَّهم بناتُ الله، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

---

(١) قرأ حفص: «يحشرهم» و«يقول» بالياء، والباقون بالنون، وهو ما وقع في النسخ. السبعة ص ٥٣٠، والتيسير ص١٠٧.

(٢) في إعراب القرآن ٣/ ٣٥٣ - ٣٥٤، وما قبله منه. وقول قتادة قبله أخرجه الطبري ١٩/ ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٣) في (ظ): وفي التفسير.

قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا﴾ أي: شفاعةً ونَجاةً ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أي: عذاباً وهَلاكاً. وقيل: أي: لا تملك الملائكةُ دفعَ ضرٍّ عن عابِدِيهم، فحذف المضاف. ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ يجوزُ أن يقول الله لهم أو الملائكة: ذوقوا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ يَعنون محمداً ﷺ ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أي: أَسْلافُكم من الآلهة التي كانوا يعبدونها. ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ﴾ يعنون القرآن، أي: ما هو إلَّا كذبٌ مُخْتلَق. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فتارةً قالوا: سحرٌ، وتارةً قالوا: إفك. ويحتمل أن يكون منهم مَنْ قال: سحر، ومنهم مَن قال: إفك.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ﴾ أي: لم يقرؤوا في كتابٍ أُوتُوه بطلانَ ما جئتَ به، ولا سَمِعوه من رسولٍ بُعث إليهم، كما قال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١]. فليس لتكذيبهم وجهٌ يُتَشَبَّثُ به ولا شبهةٌ يُتَعَلَّقُ بها[1] كما يقول أهلُ الكتاب ـ وإنْ كانوا مُبْطِلينَ ـ : نحن أهلُ كتابٍ وشرائعَ

(١) في (ظ): وجه متشبث به ولا شبهة متعلقٌ بها، وفي الكشاف ٣/ ٢٩٣ (والكلام منه): وجه متشبث ولا شبهة متعلق.

ومُستَنِدون إلى رسلٍ من رسل الله.

ثم توعَّدَهم على تكذيبهم بقوله الحقّ: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذَّب قبلَهم أقوامٌ كانوا أشدَّ من هؤلاء بطشًا، وأكثرَ أموالاً وأولاداً، وأوسعَ عيشاً، فَأَهْلَكْتُهم؛ كثمودَ وعادٍ. ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي: ما بلغ أهلُ مكةَ مِعْشارَ ما آتينا تلك الأمم. والمِعْشارُ والعُشْر سواء، لغتان. وقيل: المِعْشارُ عُشْرُ العُشْرِ[1]. الجوهريّ[2]: ومِعْشارُ الشيءِ عُشْرُه، ولا يقولون هذا في شيءٍ سوى العُشْرِ.

وقيل: ما بلغ الذين مِن قَبْلِهم مِعْشارَ شُكْرِ ما أعطيناهم؛ حكاه النقَّاش. وقيل: ما أعطَى الله تعالى مَن قبلهم مِعْشارَ ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان. قال ابن عباس: فليس أمةٌ أعلمَ من أمته، ولا كتابٌ أبينَ من كتابه[3].

وقيل: المِعْشارُ هو عُشْرُ العشير، والعشيرُ هو عُشْرُ العُشْرِ، فيكون جزءًا من ألفِ جزء. المارورديُّ[4]: وهو الأَظْهَرُ؛ لأنَّ المراد به المبالغةُ في التقليل.

﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: عقابي في الأمم، وفيه محذوفٌ وتقديرُه: فأهلكناهم فكيف كان نكيري.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ تَمَّمَ الحُجَّةَ على المشركين، أي: قُلْ لهم يا محمدُ: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أي: أذكِّرُكم وأحذِّركم سوءَ عاقبةِ ما أنتم فيه. ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: بكلمةٍ واحدة مشتملةٍ على جميع الكلام، تقتضي نَفْيَ الشِّرْكِ وإثباتَ

(١) النكت والعيون ٤/ ٤٥٥ .

(٢) في الصحاح (عشر).

(٣) النكت والعيون ٤/ ٤٥٥ .

(٤) في النكت والعيون ٤/ ٤٥٥ ، وما قبله منه.

الإله. قال مجاهد: هي لا إله إلا الله[١]، وهذا قولُ ابن عباس والسُّدِّي[٢]. وعن مجاهد أيضاً: بطاعة الله[٣]. وقيل: بالقرآن؛ لأنه يجمع كلَّ المواعظ[٤].

وقيل: تقديرهُ: بخصلةٍ واحدةٍ، ثم بيَّنها بقوله: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ فتكون «أَنْ» في موضعِ خفضٍ على البَدَلِ من «وَاحِدَةٍ»، أو في موضعِ رفعٍ على إضمارِ مبتدأ، أي: هي أنْ تقوموا. ومذهبُ الزجَّاج[٥] أنَّها في موضعِ نصبٍ بمعنى: لأنْ تقوموا.

وهذا القيامُ معناه: القيامُ إلى طلبِ الحقِّ، لا القيامُ الذي هو ضدُّ القعود، وهو كما يقال: قام فلانٌ بأمر كذا. أي: لوجه الله والتقرُّب إليه. وكما قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧].

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أي: وُحدانًا ومُجتَمِعين؛ قاله السُّدِّيّ. وقيل: منفردًا برأيه ومُشاوِرًا لغيره، وهذا قولٌ مأثور. وقال القُتَبيُّ: مناظِرًا مع غيره ومفكِّرا في نفسه[٦]، وكلُّه متقارب.

ويحتمل رابعاً: أنَّ المَثْنَى عملُ النهار، والفُرادى عملُ الليل؛ لأنه في النهار مُعَانٌ، وفي الليل وحيد؛ قاله الماوَرْديّ[٧].

---

(١) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٥٤ ، وأخرجه الفريابي وعبد بن حميد كما في الدر المنثور ٥/ ٢٤٠ .

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٥٥ عن السدي، وأخرجه ابن المنذر عن ابن جريج، كما في الدر المنثور ٥/ ٢٤٠ ، ولم نقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٠٤ .

(٤) النكت والعيون ٤/ ٤٥٥ .

(٥) في معاني القرآن له ٤/ ٢٥٧ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٥٤ .

(٦) النكت والعيون ٤/ ٤٥٦ ، وقول ابن قتيبة بنحوه في تفسير غريب القرآن ص ٣٥٨ . ووقع في (ظ): ومتفكراً مع نفسه.

(٧) في النكت والعيون ٤/ ٤٥٦ .

وقيل: إنَّما قال: «مَثْنَى وَفُرَادَى» لأنَّ الذهنَ حجةُ اللهِ على العباد، وهو العقلُ، فأَوْفرُهم عقلاً أوفَرُهم حظًّا من الله، فإذا كانوا فُرادى كانت فكرةً واحدة، وإذا كانوا مَثْنَى تَقابَلَ الذهنان، فتراءى من العلم لهما ما أُضْعِفَ على الانفراد، والله أعلم.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ الوقفُ عند أبي حاتم وابنِ الأنباريِّ على: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾[1].

وقيل: ليس هو بوقفٍ؛ لأنَّ المعنى: ثم تتفكَّروا: هل جرَّبتم على صاحبكم كذباً، أو رأيتم فيه جِنَّةً، أو في أحواله من فسادٍ، أو اخْتَلَفَ إلى أحدٍ ممَّن يدَّعي العلمَ بالسحر، أو تعلَّم الأقاصيصَ وقرأ الكتب، أو عَرَفتُموه بالطمع في أموالكم، أو تَقْدِرون على معارضته في سورةٍ واحدة؟ فإذا عرفتُم بهذا الفِكر صدقَه، فما بالُ هذه المعاندة؟!

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وفي «صحيح» مسلم عن ابن عباس قال: لمَّا نزلت هذه الآية: «وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقرَبِينَ. ورَهْطَكَ مِنهم المُخْلِصين» خرج رسول الله ﷺ حتى صعِد الصَّفا فهتف: «يا صباحاه» فقالوا: مَن هذا الذي يَهْتِفُ؟! قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبدِ منافٍ، يا بني عبدِ المطَّلبِ» فاجتَمعوا إليه فقال: «أرأيتُم لو أَخْبَرْتكم أنَّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتُم مُصَدِّقيَّ؟» قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً. قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد». قال: فقال أبو لهب: تَبًّا لك! أمَا جمعتَنا إلَّا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقد تَبّ﴾ كذا قرأ الأعمش إلى آخِرِ السورة[2].

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٤٧، وذكره عن أبي حاتم ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٥.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٨)، وهو عند أحمد (٢٨٠١)، والبخاري (٤٩٧١). قوله: ورهطك منهم المخلصين، قال أبو العباس في المفهم ٧/ ٣٨٤: ظاهر هذا أنه كان قرآناً يُتلى، وأنه نُسخ؛ إذ لم يثبت نَقْلُه في المصحف، ولا تَواتَر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي: جُعْلٍ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: ذلك الجُعْلُ لكم إنْ كنتُ سألتُكموه ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: رقيبٌ وعالمٌ وحاضِرٌ لأعمالي وأعمالكم، لا يَخْفَى عليه شيءٌ، فهو يجازي الجميع.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: يبيِّن الحجةَ ويُظْهِرُها. قال قتادة: بالحقِّ: بالوحي. وعنه: الحقُّ القرآن[1]. وقال ابن عباس: أي: يقذفُ الباطلَ بالحقِّ علامُ الغيوبِ[2].

وقرأ عيسى بن عمر: «عَلَّامَ الغيوب»[3] على أنه بدلٌ، أي: قُلْ: إنَّ ربِّي علَّامَ الغيوبِ يقذفُ بالحقِّ. قال الزجاج[4]: والرفعُ من وجهين: على الموضع؛ لأنَّ الموضعَ موضعُ رفعٍ، أو على البدل ممَّا في «يقذف». قال النحَّاس: وفي الرفع وجهان آخَران: يكون خبراً بعد خبر، ويكون على إضمارِ مبتدأ. وزعم الفرَّاء أن الرفع في مثل هذا أكثرُ في كلام العرب إذا أتى بعد خبر «إنَّ»، ومثلُه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤][5].

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٠٧ بلفظ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالوحي ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ. قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن. وسيرد في الآية التي بعدها.

(٢) ذكره الرازي ٢٥/ ٢٧٠ دون نسبة، وربطه بقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨]

(٣) القراءات الشاذة ص ١٢٢.

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٢٥٧، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٥٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٤، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣٦٤.

وقرئ: «الغيوبُ» بالحركات الثلاث، فالغُيوب كالبيوت، والغَيوب كالصَّيود[١]، وهو الأمرُ الذي غاب وخَفِيَ جدًّا.

قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ قال سعيد عن قتادة: يريد القرآن. النحاس[٢]: والتقديرُ: جاء صاحبُ الحقِّ، أي: الكتاب الذي فيه البراهينُ والحُجج. ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ قال قتادة: الشيطان، أي: ما يخلقُ الشيطانُ أحداً[٣] ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾، فـ «ما» نَفْيٌ. ويجوز أن يكون استفهاماً بمعنى: أيّ شيء، أي: جاء الحقُّ؛ فأيُّ شيءٍ بقي للباطل حتى يُعيدَه ويُبْدِئَه، أي: فلم يَبْقَ منه شيءٌ، كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] أي: لا ترى.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ وذلك أنَّ الكفار قالوا: تركتَ دينَ آبائِكَ فضَلَلْتَ. فقال له: قل يا محمد: إنْ ضللتُ ـ كما تزعمون ـ فإنَّما أَضِلُّ على نفسي. وقراءةُ العامَّة «ضَلَلْتُ» بفتح اللام. وقرأ يحيى بن وَثَّاب وغيره: «قُلْ إِنْ ضَلِلتُ» بكسر اللام وفتح الضادِ من «أضَلُّ»[٤]. والضلالُ والضلالةُ ضدُّ الرشاد، وقد

---

(١) في (ظ): فالغيوب بالرفع والخفض كالبُيوت والبِيوت والعُيون والعِيون وبالنصب كالصيود. اهـ. والصَّيود كقَبول: الصياد. القاموس (صاد). ووقع في (م): كالصبور، وهو موافق لما في مطبوع الكشاف ٣/ ٢٩٥ ، والكلام منه.

وقرأ بكسر الغين حيث وقع حمزةُ وأبو بكر، والباقون بضمها. السبعة ص١٧٨-١٧٩ ، والتيسير ص١٠١ ، والنشر ٢/ ٢٢٦ .

(٢) في إعراب القرآن ٣/ ٣٥٥ ، وما قبله منه، وأخرج الخبر عن قتادة الطبري ١٩/ ١٠٧ .

(٣) أخرجه الطبري ١٩/ ١٠٧ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦ .

ضَلَلْتُ ـ بفتح اللام ـ أضِلُّ بكسر الضاد؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ فهذه لغةُ نجدٍ، وهي الفصيحة. وأهلُ العالية يقولون: «ضَلِلتُ» بالكسر «أَضِلُّ»[١]. أي: إثمُ ضلالتي على نفسي. ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من الحكمة والبيان ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ أي: سميعٌ ممَّن دعاه قريبُ الإجابة. وقيل: وجهُ النَّظْمِ: قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ويبيِّنُ الحُجَّةَ، وضلالُ مَن ضلَّ لا يُبْطِلُ الحُجَّة، ولو ضَلَلْتُ لأَضْرَرْتُ بنفسي، لا أنَّه يُبْطِلُ حجةَ الله، وإذا اهتديتُ فذلك فَضْلُ الله؛ إذ ثبَّتَني على الحُجَّة، إنَّه سمِيع قرِيب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ ذكر أحوالَ الكفار في وقت[٢] يُضْطَرُّون فيه إلى معرفة الحقِّ. والمعنى: لو ترى إذ فزعوا في الدنيا عند نزولِ الموت أو غيرِهِ من بأس الله تعالى بهم؛ روي معناه عن ابن عباس[٣].

الحسن: هو فَزَعُهم في القبور من الصيحة[٤]. وعنه: أنَّ ذلك الفزعَ إنَّما هو إذا خرجوا من قبورهم[٥]. وقاله قتادة[٦].

وقال ابن معقل: إذا عاينوا عقابَ اللهِ يومَ القيامة[٧].

---

(١) بالكسر أيضاً كما في مختار الصحاح (ضلل)، والكلام من الصحاح (ضلل).

(٢) بعدها في النسخ عدا (ظ): ما، والمثبت من (ظ).

(٣) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٠٩.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٤٥٨.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٣، والطبري ١٩/ ٣١٢. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٦: وهذا أرجح الأقوال عندي.

(٦) كذا ذكر المصنف، والذي أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣٣ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ أي: في الدنيا حين رأوا بأس الله. وأخرجه عنه الطبري ١٩/ ٣١٢ - ٣١٣، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٢٤٠.

(٧) أخرجه بنحوه الطبري ١٩/ ٣١٣.

السُّدِّيُّ: هو فَزَعُهم يومَ بدرٍ حين ضُربت أعناقُهم بسيوفِ الملائكة، فلم يستطيعوا فراراً ولا رجوعاً إلى التوبة[١].

سعيد بن جُبير: هو الجيشُ الذي يُخسَفُ بهم في البيداء، فيبقى منهم رجلٌ، فيخبرُ الناس بما لقي أصحابه فيفزعون، فهذا هو فَزَعُهم[٢].

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا نجاةَ؛ قاله ابن عباس[٣]. مجاهد: فلا مَهْرَب[٤].

﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: من القبور. وقيل: من حيث كانوا، فهم من الله قريبٌ لا يَعْزُبون عنه ولا يفوتونه.

وقال ابن عباس: نزلت في ثمانين ألفاً يغزون في آخِرِ الزمان الكعبةَ لِيَخْرِبوها، فَلمّا يدخلون[٥] البيداءَ يُخْسفُ بهم، فهو الأخذُ من مكانٍ قريب.

قلت: وفي هذا المعنى خبرٌ مرفوعٌ عن حذيفةَ ـ وقد ذكرناه في كتاب «التذكِرة»[٦] ـ قال: قال رسول الله ﷺ؛ وذَكَر فتنةً تكون بين أهلِ المشرقِ والمغرب: «فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم السُّفيانيُّ من الوادي اليابس في فَوْرِه ذلك، حتى يَنْزِلَ دمشق، فيبعث جيشين؛ جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، فيسير الجيش نحو المَشْرِقِ حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعةِ الخبيثة ـ يعني مدينةَ بغداد ـ قال: فيقتلون أكثرَ من ثلاثةِ آلافٍ، ويفتضُّون أكثرَ من مئة امرأةٍ، ويقتلون بها ثلاثَ مئةِ كَبْشٍ من وَلَدِ العباس[٧]، ثم يخرجون متوجِّهين إلى الشام، فتخرج رايةُ هدًى من

(١) النكت والعيون ٤/٤٥٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٢٤٠ .

(٢) النكت والعيون ٤/٤٥٨ ، وأخرجه الطبري ١٩/ ٣١٠ .

(٣) أخرجه الطبري ١٩/٣١٣ .

(٤) النكت والعيون ٤/٤٥٨ .

(٥) في (خ) و(م) وكما يدخلون. وفي (د): فلا يدخلون، والمثبت من (ظ). ووقع في الكشاف ٣/٢٩٦ (والخبر فيه بنحوه): فإذا دخلوا البيداء خسف بهم.

(٦) ص٦٠٩ .

(٧) في (ظ): بني إسماعيل، بدل: ولد العباس.

الكوفة، فتلحَقُ ذلك الجيشَ منها على ليلتين، فيقتلونهم لا يُفْلِتُ منهم مُخْبِرٌ ويَسْتَنقِذون ما في أيديهم من السَّبْي والغنائم، ويَحُلُّ جيشه الثاني بالمدينة، فينتبهونها ثلاثةَ أيامٍ ولياليها، ثم يخرجون متوجِّهين إلى مكةَ، حتى إذا كانوا بالبيداءِ بعث الله جبريل عليه السلام، فيقول: يا جبريلُ، اذهب فأَبِدْهم، فيضربها برجله ضربةً يَخسفُ الله بهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾. فلا يبقى منهم إلَّا رجلان؛ أحدُهما بشيرٌ والآخَرُ نذيرٌ، وهما من جُهَيْنة». ولذلك جاء القول: وعند جُهينةَ الخبرُ اليقين[1].

وقيل: «أُخِذُوا مِن مكانٍ قريبٍ» أي: قُبِضَتْ أرواحُهم في أماكنها، فلم يُمْكِنْهم الفرارُ من الموت، وهذا على قولِ مَن يقولُ: هذا الفزعُ عند النَّزْع.

ويحتمل[2] أن يكون هذا من الفزع الذي هو بمعنى الإجابة؛ يقال: فَزِع الرجلُ، أي: أجاب الصَّارِخَ الذي يستغيثُ به إذا نزل به خوفٌ. ومنه الخبرُ إذ قال للأنصار: «إنكم لتَقِلُّون عند الطَّمَعِ، وتَكْثُرون عند الفزع»[3].

ومَن قال: أراد الخسفَ أو القتلَ في الدنيا كيومِ بدرٍ قال: أُخذوا في الدنيا قبل أن يؤخَذوا في الآخرة. ومَن قال: هو فزعُ يومِ القيامة قال: أُخذوا من بطن الأرض إلى ظَهْرِها. وقيل: «أُخِذُوا مِن مكانٍ قريبٍ»: من جهنَّم فأُلقوا فيها.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن. وقال مجاهدٌ: بالله عزَّ وجلَّ. الحسن: بالبعث. قتادةُ: بالرسول ﷺ[4]. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قال ابن

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٣١٠ - ٣١١. وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية أن هذا الحديث موضوع.

(٢) في (ظ): ويجوز.

(٣) سلف ٦/ ٤٠٩.

(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٥٩، وخبر مجاهد أخرجه الطبري ١٩/ ٣١٤.

عباس والضحاك: التناوشُ: الرَّجعة، أي: يطلبون الرجعةَ إلى الدنيا ليؤمنوا، وهيهات من ذلك[١]! ومنه قول الشاعر:

تمنّى أن تؤوبَ إليَّ مَيٌّ ... وليس إلى تَناوُشِها سبيلُ[٢]

وقال السُّدِّي: هي التوبة[٣]، أي: طلبوها وقد بَعُدت؛ لأنه إنَّما تُقْبَلُ التوبةُ في الدنيا. وقيل: التناوشُ: التناول؛ قال ابن السِّكِّيت: يقال للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه ولحيته: ناشَه يَنُوشُه نَوْشاً، وأنشد:

فهي تنوشُ الحوضَ نَوْشًا مِن عَلَا ... نَوْشًا به تَقْطَعُ أَجْوازَ الفَلا[٤]

أي: تتناول ماءَ الحوض من فوق، وتشرب شربًا كثيرًا، وتقطعُ بذلك الشُّرْبِ فَلَواتٍ، فلا تحتاج إلى ماءٍ آخَرَ. قال[٥]: ومنه المناوشةُ في القتال، وذلك إذا تَدَانَى الفريقان. ورجلٌ نَوُوشٌ، أي: ذو بطش. والتناوشُ: التَّناولُ، والانتياشُ مثلُه. قال الراجز:

كانت تَنوشُ العَنَقَ انتياشا[٦]

---

(١) أخرجه عنهما بنحوه الطبري ١٩/ ٣١٧ و٣١٩ . وذكره بهذا اللفظ عن ابن عباس الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٥٩ .

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٥٩ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧ . ووقع في (ظ): تؤوب إليه، وفي المحرر الوجيز: تؤوب إليك.

(٣) النكت والعيون ٤/ ٤٥٩ .

(٤) إصلاح المنطق ص ٤٧٩ ، والصحاح (نوش)، والكلام منه. وهما في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥ ، وتفسير الطبري ١٩/ ٣١٥ - ٣١٦ ، والمنصف لابن جني ١/ ١٢٤ ، والاقتضاب ص ٤٢٧ ، والخزانة ٩/ ٤٣٧ ، وذكر سيبويه في الكتاب ٣/ ٤٥٣ البيت الأول. قال البطليوسي: لا أعلم لمن هذا الرجز. وقال البغدادي: وهذا من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعلم قائلها، وقال ابن بري: هذا الرجز لغيلان ابن حريث الرَّبَعي، ولم أقف على خبر لغيلان. اهـ والضمير في قوله: فهي، للإبل. اللسان (نوش).

(٥) يعني ابن السكيت، وكلامه في إصلاح المنطق ص ٤٧٩، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (نوش)، وما قبله منه.

(٦) الصحاح واللسان (نوش)، وهو فيهما برواية: باتت تنوش ...، والعَنَق: ضَرْبٌ من سير الدابة والإبل. الصحاح (عنق).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ يقول: أنَّى لهم تَنَاولُ الإيمانِ في الآخرة وقد كفروا به في الدنيا[١].

وقرأ أبو عمرو والكِسائيُّ والأعمشُ وحمزة: ﴿وأنَّى لهم التناؤش﴾ بالهمز[٢].

النحاس[٣]: وأبو عبيدةَ يستبعدُ هذه القراءة؛ لأنَّ «التناؤش» بالهمز: البُعْدُ، فكيف يكون: وأنَّى لهم البعدُ من مكان بعيد. قال أبو جعفر: والقراءةُ جائزةٌ حسنة، ولها وجهان في كلام العرب، ولا يُتَناوَلُ بها هذا المتناوَلُ[٤] البعيد. فأحدُ الوجهين أن يكون الأصلُ غيرَ مهموز، ثم هُمزت الواو لأنَّ الحركة فيها خَفِيَّة[٥]، وذلك كثيرٌ في كلام العرب. وفي المصحَفِ الذي نقلته الجماعةُ عن الجماعة: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]، والأصلُ: «وُقِّتت»؛ لأنه مشتقٌّ من الوقت. ويقال في جمع دار: أُدْؤُر[٦].

والوجهُ الآخَر ذكره أبو إسحاق؛ قال: يكون مشتقًّا من النئيش، وهو الحركةُ في إبطاء، أي: من أين لهم الحركةُ فيما قد بَعُد[٧]. يقال: نَأَشْتُ الشيء: أخذته من بُعْدٍ، والنئيشُ: الشيءُ البطيء. قال الجوهريُّ[٨]: التناؤشُ ـ بالهمز ـ: التأخُّر والتباعُد. وقد نَأَشْتُ الأمر أَنَأَشُه نأشاً: أَخَّرته، فانْتَأَشَ. ويقال: فَعَلَه نئيشًا، أي: أخيراً. قال الشاعر:

---

(١) الصحاح (نوش).

(٢) وقرأ بها أيضاً عاصم في رواية أبي بكر السبعة ص٥٣٠ ، والتسير ص١٨١ .

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٥٦ .

(٤) في (م): ولا يتأول بها هذا المتأول، وفي (ظ): ولا يتناول بهذا هذا التأويل.

(٥) في (ظ): خفيفة.

(٦) قال الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٥٩ : وكلُّ واوٍ مضمومةٍ ضمتُها لازمة؛ إن شئت أبدلْتَ منها همزة، وإن شئت لم تُبْدِل.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٦ ، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٢٥٩ .

(٨) في الصحاح (نأش).

تمنَّى نئيشًا أن يكون أطاعني وقد حَدَثَتْ بعدَ الأمور أمورُ[١]

وقال آخر:

قعدتَ زماناً عن طِلابِكَ للعُلا وجئتَ نئيشًا بعدَ ما فاتَكَ الخبرْ[٢]

وقال الفرَّاء: الهمزُ وتَرْكُ الهمزِ في التناوُش مُتقارِبٌ، مثل: ذِمْتُ الرجلَ وذَأَمْته، أي: عبته.

﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: من الآخرة. وروى أبو إسحاق عن التميميِّ عن ابن عباس: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ﴾ قال: الردّ، سألوه وليس بحينِ ردٍّ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بالله عزَّ وجلَّ. وقيل: بمحمد ﷺ ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ العرب تقولُ لكلِّ مَن تكلَّم بما لا يَحُقُّه[٤]: هو يقذفُ ويرجُمُ بالغيب. ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ على جهة التمثيل لمن يَرْجُم ولا يُصيب[٥]، أي: يرمون بالظنِّ فيقولون: لا بعثَ ولا نشورَ ولا جنةَ ولا نار، رَجْمًا منهم بالظنِّ؛ قاله قتادة[٦].

وقيل: «يقذفون» أي: يرمون في القرآن فيقولون: سحرٌ وشعرٌ وأساطيرُ الأولين. وقيل: في محمد، فيقولون: ساحرٌ شاعرٌ كاهنٌ مجنون. ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: إنَّ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥ ، وتفسير الطبري ١٩/ ٣١٥ ، والصحاح (نأش)، ونسبه البصري في الحماسة ٢/ ٣٧ ، والزمخشري في المستقصى ١/ ٣٠٢ ، وصاحب اللسان (نأش) لنَهْشَل بن حَرِّيٍّ.

(٢) في (خ) و(د): الخير، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥ ، وتهذيب اللغة ١١/ ٤١٧ ، واللسان (نوش).

(٣) أخرجه الطبري ١٩/ ٣١٧ ، وسلف بنحوه عن ابن عباس والضحاك.

(٤) في (ظ): يحققه، وحقَّ الأمرَ يَحُقُّه وأَحقَّه: كان منه على يقين. اللسان (حقق).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٦ .

(٦) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٢٠ .

الله بَعَّد لهم أنْ يعلموا صِدْقَ محمد ﷺ. وقيل: أراد البُعْدَ عن القلب، أي: من مكان بعيدٍ عن قلوبهم.

وقرأ مجاهد: «ويُقْذَفون بالغيب» غير مسمَّى الفاعل، أي: يُرمَون به[1]. وقيل: يَقْذِفُ به إليهم مَن يُغويهم ويُضِلُّهم.

قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قيل: حِيل بينهم وبين النجاةِ من العذاب. وقيل: حِيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من أموالهم وأهليهم. ومذهبُ قتادةَ أنَّ المعنى: أنهم كانوا يشتهون لمَّا رأوا العذاب أنْ يُقبَل منهم أن يُطيعوا الله جلَّ وعزَّ، وينتهوا إلى ما يأمرهم به الله، فحِيلَ بينهم وبين ذلك؛ لأنَّ ذلك إنَّما كان في الدنيا وقد زالت في ذلك الوقت. والأصلُ: «حُوِل»، فقُلبت حركةُ الواو على الحاء فانقلبت ياءً، ثم حُذفت حركتُها لثقلها[2].

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ الأشياعُ جمع شِيَع، وشِيَع جمعُ شِيعَة. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: بمَن مضى من القرون السالفة الكافرة. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ﴾ من أمر الرسل والبعث والجنة والنار. وقيل: في الدين والتوحيد، والمعنى الواحد.

﴿مُرِيبٍ﴾ أي: يُستَرابُ به، يقال: أرابَ الرجلُ، أي: صار ذا ريبة، فهو مُريب. ومَن قال: هو من الرَّيْب ـ الذي هو الشَّكُّ والتهمة ـ قال: يقال: شكٌّ مريب، كما يقال: عَجَبٌ عجيب، وشِعْرٌ شاعر، في التأكيد.

خُتمت السورة، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٢٢ ، والمحتسب ٢/ ١٩٧ .قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٧ : معناه: ويرجمهم الوحي بما يكرهون من السماء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥٧ ، وقول قتادة أخرجه بنحوه الطبري ١٩/ ٣٢٢ .